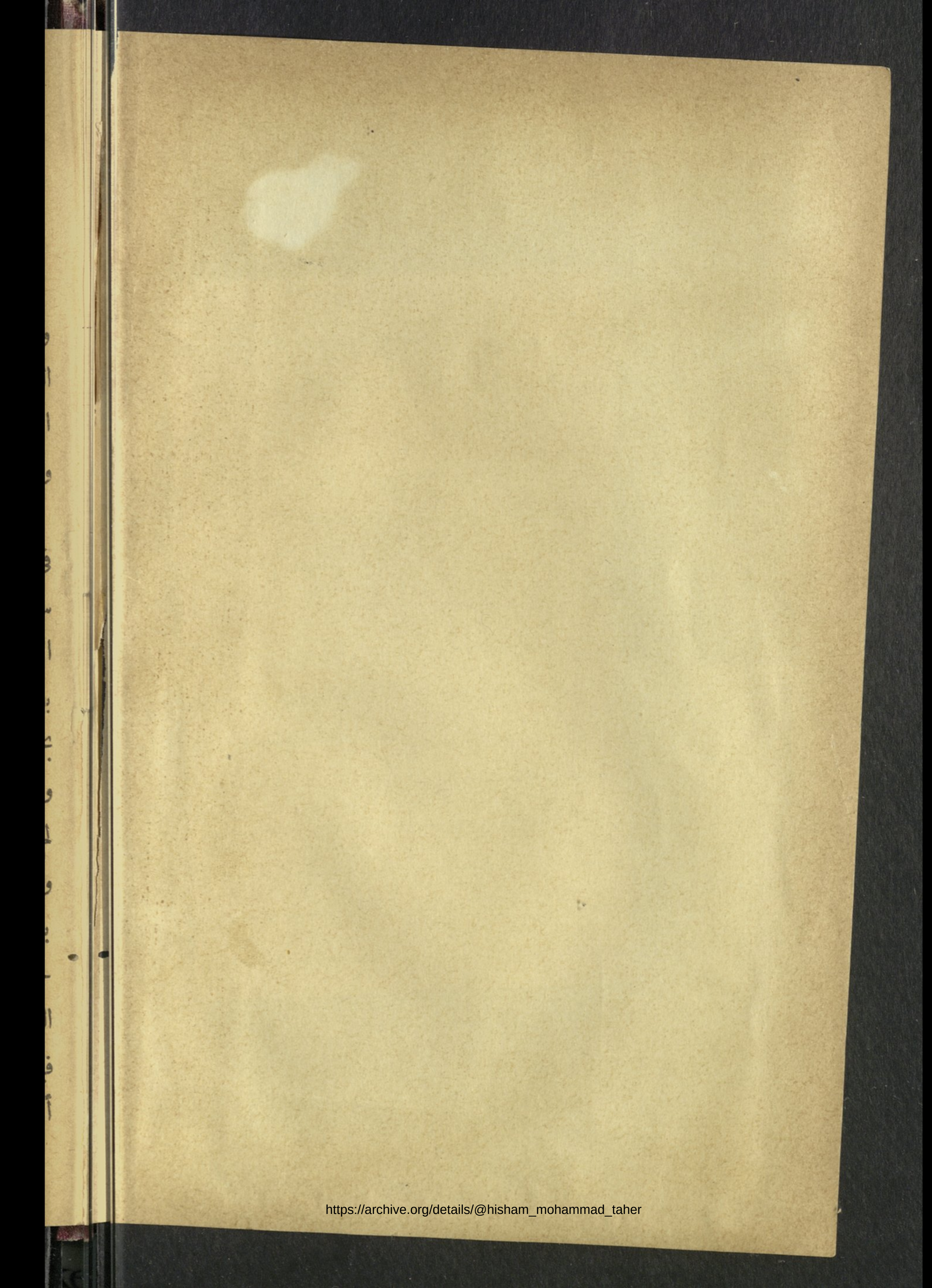


مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أكمل لنا ديننا وأتم علينا نعمته ورضى لنا الإسلام دينا ، وجعلنا أمة وسطا لنكون شهداء على الناس . والصلاة والسلام على المرشد الكامل والهادى الأعظم الدال على الله بالله والقائد إلى سبل السلام بشرعة الإسلام محمد بن عبد الله (صلعم) وعلى آله وأصحابه وأنصاره أقمار الهدى وأعلام المعرفة الذين أضاءوا السبيل إلى الصراط المستقيم وبعد :

فهذه أقباس اصطفاها بعض تلاميذى من جملة افتتاحيات لى نشر بعضها فى (لواء الإسلام) التى أنشأتها فى ذى الحجة سنة ١٣٤٣ هجرية الموافق يونية سنة ١٩٢٥ ميلادية وبعضها لم ينشر بعد وإنما أعد إعداد لينشر فى مجلة العالم الاسلامى التى سنصدرها إن شاء الله فى هذه السنة وقد ألحوا فى وجوب طبعها بين دفتى كتاب لينتفع به المسلمون من وجه وغير المسلمين من وجه آخر لأنه بحث عام فى حكمة الاسلام من جهة عقائده وتشريعه ومقاصدة الانسانية العالمية وصلته بالعلم الحديث وبالتمدين الصحيح وبالتيار الفكرى العام وعلم الله أننى لم أقرر إلا الحقائق ولم أتعصب لدينى لأن التعصب الأعمى ليس منه فى شىء ولم أبالغ فى الانتصار لملتى إذ أنها حفية بالإبانة عن نفسها بنفسها والتوفيق بيد الله وهو يتولى الصالحين . وإنما كتبت ما كتبت ليفهم الاسلام على حقيقته فلا يخبط فى أصوله من الذين لا يعرفونه خابط ولا يخلط فى هديه الصريح خالط وليتضح هديه لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، فيذكرون الاسلام على حقيقته بعد عرفان نبل غايته وسلامة مبادئه ويرون أنه دعوة عامة للخير والسماحة والنبل والحرية وما يذكر إلا أولو الألباب ؟

حكمة الاسلام فى معتقده وفى أحكامه ومراميه

الإسلام دين الجميع

«شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَاوَصَى بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَاوَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ »

لم ير العالم إلى الآن ولن يرى بعد الآن فى تاريخ الديانات دينا كالإسلام يأمر متبعيه بتصديق جميع الرسل والاعتراف بسائر الكتب ونزاهة المعتقد عن سائر ضروب الشرك والتسامى بالإيمان عن مواضع الريب والشك وتحرير العقول والأفكار من أواصر التقليد وقيود الجاهلية الدينية والعلمية . وكل ذلك قد شهد به المنصفون من فلاسفة الأمم وعلمائهم .

وليس الإسلام فوق ذلك بالدين الذى خفيت أصوله أو غمضت أغراضه على غير أهله من أتباع الديانات الأخرى ذات الكتب المنزلة فإن الله سبحانه وتعالى يقول فى القرآن الكريم - كتاب الإسلام ومستمده ومعينه - مخاطباً الأمة الاسلامية « شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وعِيسَي . » ومعناه أن الاسلام ليس بالدين الجديد الغريب على الأمم المتدينة أو الدين الخاص الذى جاء ليدين به قوم مخصوصون أو أمة بعينها بل هو الدين الذى عاش عليه نوح والذين بعده من أبنائه . وهو الدين الذى قام بالدعوة إليه إبراهيم ووصى به أبناءه وهو بعينه دين موسى وعيسى لأن الإسلام إسلام القلب والشعور والأعمال والأحوال كلها لله وإفراده بالتوحيد والتنزيه والتبتل والتقرب إليه بأكمل أنواع العبادة وهو يحث أهله وغير أهله على استشعار الرحمة بالخليقة إنسانها وحيوانها

ويحض على معاونة الضعيف وتعلم العلم وتحرير العقل وإرشاد الجاهل والعفو عن المسيء واحكام الاخاء وحسن الجوار وحب الخير لجميع الناس ومحاسنة أهل الذمة من الكتابيين ونشر مكارم الأخلاق وغرضه الأول الارتفاع بالقلوب عن حمأة الشرك والنفاق ويعتبر قرآنه القانون الأدبى العام لكل دارج فى سبيل التكمل والترقى الإنسانى من أفراد الخليقة وهو مبعث الفلسفة العظمى والحكمة العليا المؤدية إلى النظر فى حقائق الكائنات مما يؤدى حتما بالباحث إلى عرفان الله وتنزيهه وتقديسه ، وهو الآخذ بناصية متبعيه إلى أسمى درجات الشرف فى الدنيا وأعلى منازل الرفعة والسعادة فى الآخرة ، وهو الناموس الأعلى الذى يحول بين متابعه وبين ظلمات الجهل ودركات النقص والهوان .

وأما رسول الاسلام فهو عبد لله وزميل للمؤمنين يعيش فيهم كأحدهم ثم هو بعد ذلك المثل السامى للرسل والأنبياء والأولياء والصالحين أرسله الله سبحانه وتعالى من لدنه كافة للناس ورحمة للعالمين .

ويقول الله سبحانه وتعالى فى عجز الآية السابقة « أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ » أمر من الله لمتبعى الاسلام الذين صدقوا الرسول وآمنوا بجميع ما جاء فى القرآن بأن يقيموا الدين وما إقامة الدين إلا القيام بما فرضه الله على الناس وشرعه من الحدود والأحكام بعد تحقيق الايمان وتصحيح النية والعمل بقواعد الاسلام من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج الخ . وأن يحافظوا على وحدة المعتقد وتوحيد الكلمة واتباع الجماعة والاعتماد فى الاستنباط على القرآن والاعتصام بالكتاب والسنة فيما اختلف فيه من الأحكام . ويقول الله سبحانه وتعالى تأييداً لذلك « فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ

فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ »

ومعنى ذلك هو الرجوع بأصول الدين وفروعه فى كل زمان ومكان إلى كتاب الله وشريعة رسوله وعدم تحكيم الهوى أو التحيز والتشيع لفريق من المختلفين عند الاختلاف بل ان الله يأمر جميع المسلمين بتحكيم الكتاب والسنه فيما اختلف فيه من أحكام الدين لكى يكون الدين لله وحده مشمولا فى كل ذلك بمتابعة رسوله فى سائر أقواله وأفعاله وأحواله متابعة تامة . وفى هذا من توحيد كلمة المسلمين وإجماعهم على معتقد واحد وحكم واحد ما فيه وقد زاد الله على هذا تنبيها للمسلمين وإلزاماً لهم بأن يتمسكوا بتلك الخطة وأن لا يحيدوا قيد شعرة عن ذلك السنن بقوله « وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ »

والمستفاد من هذا البيان :

أولا : أن الاسلام ليس ديناً خاصاً بل هو دين الفطرة الذى يخاطب القلوب مواجهة ويتوجه إلى الله مباشرة « فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ »

ثانياً : أنه دين التوحيد والتنزيه حيث يوجب على معتنقيه أن يوحدوا الله بمعنى أنه واحد فى ذاته وجميع أسمائه وصفاته فلا يرجى الخير ولا يطلب النفع إلا منه ولا يعيذ من الشر والضر إلا هو ، إله واحد لا شريك له فى ألوهيته ولا مثيل له ولا زميل « وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ »

ثالثا : أن الإسلام هو الدين الوحيد الذى يأمر أهله بإقرار جميع الديانات المنزلة السابقة له باعتبار أنها كلها إذا سلمت من التبديل والتحريف دروب من الاسلام وكذلك الايمان بجميع كتبها وصحفها معتقداً أن كتابه يحتوى خلاصة ما فيها ومصدق لما جاءت به من الحق ومكمل لها وذلك بدليل قول الله فى القرآن الكريم « قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وإِسْمَاعِيلَ وإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسٰي وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ »

رابعا : أن الاسلام دين يأمر بالمساواة للخليقة ويحض على حرية البحث ويوسع المجال للعقل ويأمر بحرية الفكر « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ » فقد جعل التفاضل بين أفراد الخليقة بالتقوى . ومعلوم أن التقوى هى كمال الانسان فى أعماله وأحواله الباطنة والظاهرة ، ولا يبلغ الاسلام بأهله هذا المقام إلا بكسر قيود التقليد للظواهر وإطلاق حرية الفكر

خامسا : أن الاسلام يطالب أهله بتعلم العلم وتعليمه واعتبار أنه أسمى ما يرقى الإنسانية « وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا — وقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً — قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ — وَمَا يَسْتَوِى الْأَعْمَي وَالْبَصِيرُ . وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ — يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ »

سادسا : الاسلام يعتبر أن الدين هو الكتاب والكتاب هو الدين وأن السنة ليست أكثر من تفسيره وتبويبه على حسب الأحوال والأزمان فكل حكم من الأحكام الاسلامية لا يرجع فى أصله إلى القرآن ولا تؤيده السنة

المحمدية فهو مردود عند أهل الملة الاسلامية وذلك توحيدا لمعتقد المسلمين وتوحيدا لمتنوع عباداتهم ومعاملاتهم «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا»

سابعا : الاسلام يأمر أهله بالتواضع والسماحة والمحبة والاصلاح فى الأرض قال الله سبحانه وتعالى «وَتِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا»

ثامنا : الاسلام دين شامل يأمر متبعه بأن يمدد للآخرة يمينه ويتناول الدنيا بيساره ويصوب إلى السماء قلبه مراقبا فى الحالين لخالقه ومبدعه ، فهو لا يفصل أسباب الدنيا عن أسباب الآخرة ولا يميز بين العلم بهذه ولا العلم بتلك . ومعنى ذلك أن كل مسلم يجب أن يكون عالما بدينه كما هو عالم بدنياه ، ولذلك يأمر الله المسلمين فى كتابه بعد أن أقامهم جميعا مقام الفرد المخاطب بقوله «وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ» وفى هذه الآية الفردة من كتاب الله دستور عظيم فى أدب النفس وفى الأخلاق والاجتماع وسياسة الدنيا وطلب الآخرة يا حبذا لو اتبعه سائر الأمم التى تعايشنا على هذا السيار الأرضى ولو فعلوا لسعد الناس جميعهم واستقامت نظمهم وقل التناحر بينهم ولرفع عن العالم كابوس المجازر البشرية التى يسمونها حروبا نظامية »

تاسعا : الاسلام دين لا يأمر أهله بالتجرد فى التبتل ولا التقشف المتزمت أو الهرب من نضال المجتمع ومجاهدة النقائص العملية بدعوى الزهد والبعد عن الناس للاختصاص بالعبادة ولا يحرم عليهم التمتع بالطيبات ولا يقول

بتحريم اتخاذ الزينة المعقولة بل الأمر بالعكس فانه يأمر باتخاذ الزينة للمساجد وتأمر السنة بالتطيب لها . وانظر إلى قول الله تعالى فى القرآن « يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ » وقوله « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ » وقوله « يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا »

عاشرا : أن الاسلام يأمر أهله بالبعد عن التعصب ضد غيرهم من أهل ذمتهم أو جوارهم أو إخوانهم فى الانسانية ، حتى ولو كانوا أعداء لهم « ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ » « ادْعُ إِلَي سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ »

وقد قال رسول الله (صلعم) يوماً لأصحابه « أتدرون من المسلم؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال : المسلم من سلم الناس من لسانه ويده : قالوا فمن المؤمن ؟ قال : المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم . قالوا : فمن المهاجر ؟ قال . من هجر ما نهى الله عنه »

الاسلام برىء من التعصب

نشأ الإسلام والناس على أشد مايكونون من ضروب الفوضى والتعسف فى الدين والأخلاق والسياسة وقد اختفى فى ظلمات ذلك الجو القاتم منار التوحيد وتوارى عن الوجود دين ابراهيم جاء ليدعو أهل العالم بأسرهم إلى توحيد الله فى أسمائه وصفاته وأفعاله وصرح بأنه دين التنزيه وأنه دين الله من لدن آدم إلى محمد صلوات الله عليهم أجمعين . وصرح بأن عباد الله كلهم

متساوون فى أصل الخليقة لافضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود ولافرق بين غنى وفقير ولاتفاضل بين صعلوك وأمير ماداموا يعبدون إلهاً واحداً لايشركون به شيئاً ويؤدون الحقوق فيما بينهم على شريطة العدل والإحسان حيث يقول الله سبحانه وتعالى « يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ » . وترى أن الله سبحانه وتعالى قد صدر هذه الآية الكريمة بقوله ياأيها الناس يريد بذلك النوع الانسانى ولم يقل ياأيها المسلمون فقط وماذلك إلا لكون الاسلام جاء بالهدى والنور للناس كافة وقد دلت الآية فى عجزها على أن أكرم عباد الله عنده هم الأتقياء الخيرون لافرق بين أمة وأمة ولاتمييز بين فريق من الناس وفريق لأن الإسلام جاء للجميع ورسوله أرسل إلى العالمين كافة هاديا ومبشرا ونذيرا ومذكراً أهل الديانات السابقة بوجوب العمل بما أرسل به رسلهم من البينات « وما أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ » وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ » ومالبث الاسلام فى محيط ظلام الوثنية إلا فترة من الزمن حتى سطع صبح الحقيقة وظهرت سماحة الملة الاسلامية وغلب التوحيد على الشرك وانبعث نور الايمان إلى القلوب وأفرد بالعبادة علام الغيوب بعد شديد المناوأة للإسلام من المشركين ، فدخل الناس فى الاسلام لسماحته أفواجا من كل صوب وحدب ، فأمرهم بتوحيد الله لايشركون به شيئاً وتنزيهه عن الشبيه والمثيل والنظير وحثهم على العدل والاحسان إلى الغير والاصلاح بين الناس « إِنَّ اللهَ يأْمُرُ بالعَدْلِ والاحْسَانِ وإِيتَاءِ ذِى القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ والبَغْى يعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » وفرض عليهم تعلم العلم من المهد إلى اللحد وأمرهم بتعليمه للناس وإرشادهم غير مميزين بين مسلم وغير مسلم ولاذامين لدين من الأديان ولامكذبين لرسول من

الرسل ولا مفرقين بين أبناء الانسانية بحال من الأحوال بل أراد أن يسبغ عليهم ثوبا من الأدب العالى ليكونوا مثال العدل والانصاف بين الأمم فخاطبهم قائلا « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » فأعتق بذلك الهمم من أغلال الشهوات وافتك العزائم من الخمول وخلص النفوس من أسر الاستعباد وأخذ كل من المسلمين يطلب من الكمالات الدنيوية والأخروية ما أهل له باستعداده الموهوب له وهكذا أشرف المعتقدون بعقيدة التوحيد والتنزيه من شرفات إيمانهم على أسرار الوجود وأخذوا يمزقون بالاسلام حجب الأوهام عن أعين القلوب والعقول ويتصلون مباشرة بمنابع العرفان والتثقف كالعلم النافع والنظر الصحيح والفكر المنظم والدين القويم معلنين أهل العالم بوجوب الطاعة لله وحده وتحرير رقاب المستضعفين من عبادة الرؤساء والزعماء الذين اغتصبوا حريتهم واستلبوا عقولهم وملكوا عليهم جميع أمرهم منادين بتحرير العقل من ربقة أوهام الشرك بيد أنهم لا يكرهون أحدا على الدخول فى دينهم هذا معتقدين أن الله يهدى من يشاء ويضل من يشاء ومتأدبين بقوله فى القرآن « لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ » ثم رأوا أن المخالفين لهم فى دينهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام : كفار ومشركون وذميون ، فالكافرون هم الذين كفروا بالله أو بما جاءت به الرسل من عنده ، والمشركون هم الذين أشركوا بالله غيره فعبدوا الأوثان والأصنام والنجوم والكواكب ، والذميون هم أهل ذمة المسلمين من أهل الكتاب (النصارى واليهود)

فأما الكافرون فضرب الرقاب حتى يفيئوا إلى أمر الله . وأما المشركون فالقتال حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . وما أهل الكتاب من

المسيحيين واليهود الذين لم يحاربوا المسلمين ولم يظاهروا عليهم فحمايتهم ومحاسنتهم والوفاء لهم « لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» وقال رسول الله (صلعم) « المسلمون يسعى بذمتهم أدناهم ، ومن تأمل فى الآية الكريمة وجدها تنص صراحة على أن الله لم ينه المسلمين عن إسداء البر لمخالفيهم فى الدين ومعاملتهم بالاحسان والأنصاف فى سائر ضروب المعاملات ويرى فى الحديث الشريف ما يوجب على المسلمين الوفاء لأهل ذمتهم والمدافعة عنهم والتزام ما يتعهد به أدنى مسلم لهم وذلك يؤمر به جميع المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها

فيتبين المتأمل فى كل ذلك أن التسامح الدينى فى الاسلام يحمل المسلم على احترام مخالفه فى الدين ويحرم عليه ماله ودمه إلا بالحق وذلك ما يقتضيه نظام الكون وغرض الخالق وتمام الحكمة فى المجتمع وقد صرح الله فى كتابه بأن الناس لا يجتمعون على دين واحد وأن هذا الاختلاف مقصود له سبحانه وتعالى لحكمة بالغة فقال « وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ »

والذى يحمل المسلم على إسداء المعروف لمخالفيه وإكرامهم والاحسان إليهم والوفاء لهم هو التأدب بآداب الكتاب والتأسى بصفات الرسول واتباع الخلفاء الراشدين وإجماع المسلمين على الاحسان والرحمة بجميع الداخلين فى حكمهم وذمتهم وقد علم المسلمون أن لاختلاف الأديان حكمة عالية هى من متممات عمارية الكون ومكملات نظام الحياة فلا يحقد المسلم على مخالفه فى الدين ولا يتعصب عليه ولا يسعى فى إيذائه لعلمه أن ذلك الاختلاف من

إرادة ربه وترتيب شئونه فى خلقه ألم تر أن من قواعد العقائد فى الملة الاسلامية الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء خيره وشره وأن معنى الاسلام هو إسلام القلب والشعور والعواطف كلها خالصة لله ، ومن وظيفة المسلم فى هذا الوجود الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بين جميع أهل العالم على السواء بصرف النظر عن أديانهم ومللهم وقد أمر فوق هذا وذاك بأن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وأن لا يجادل أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن ولذا أوصى النبى (صلعم) أمته بأهل الذمة خيرا فى مواضع كثيرة من كلامه ووصاياه وقد جاملهم بنفسه (صلعم) فقد كان يكرم رهبان النصرانية وأحبار اليهودية ويجاملهم ويحاسنهم ويصبر على أذاهم وقد أمنهم على أموالهم ودمائهم وصوامعهم ومعابدهم . وقد قال رسول الله (صلعم) « الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله » وكان أحد اليهود من جيران النبى (صلعم) كثير الأذى للرسول حتى أنه كان يضع الأقذار فى طريقه إذا خرج إلى المسجد فمرض ذلك اليهودى وافتقده النبى فسأل عنه فقيل إنه مريض فذهب (صلعم) لعيادته فلما رأى اليهودى كرم أخلاقه (صلعم) وعطفه عليه وهو مخالف له فى الدين قال له : تالله إن من كان مثلك لا ينبغى أن يأتى إلا بحق وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله حقاً وصدقا ويروى أيضاً أن يهودياً آخر أراد اختبار خلق النبى (صلعم) فاشترى منه تمرا إلى أجل وأعطاه الثمن ثم جاء يطالبه بالتمر قبل انقضاء الأجل بيومين فأخذ بمجامع ثوبه (صلعم) ونظر إليه بغضب قائلا : ألا تقضينى حقى يا محمد ؟ فوالله إنكم مطل يا بنى عبد المطلب . وكان عمر رضى الله عنه حاضراً فوبخ اليهودى واستل سيفه وأراد أن يهم بقتله فقال النبى (صلعم) لعمر بكل سكينة وهدوء : أنا وهو أحوج إلى غير هذا

منك ياعمر تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التقاضي اذهب به فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان ماروعته فأسلم اليهودي عند ما رأى ذلك وحسن إسلامه .

وكم لرسول الله (صلعم) من لطيفة ومكرمة مثل هذه يضيق المقام عن إحصائها كيف لا وقد أدبه الله تعالى بقوله « ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ » وقال سبحانه وتعالى واصفاً لشريف سجاياه وكرم أخلاقه « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » وقال عليه الصلاة والسلام (المسلم من سلم الناس من لسانه ويده) وقال سبحانه وتعالى « وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ » وقال سبحانه وتعالى « إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ الخ »

ويروى أن يهوديا جاء إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه يشكو عليا مدعيا عليه دينا له ولما أراد أمير المؤمنين أن يحكم بينهما رأى عليا كرم الله وجهه جالساً واليهودى واقفا فقال له : قم ياعلى فساو خصمك فقام على مبتسما وشاكرا لعمر حيث نبهه إلى وجوب المساواة لدى التقاضي . ويروى عن ابن عمرو بن العاص فاتح مصر أنه كان يتسابق مع بعض القبط فسبقه القبطى فأخذته العزة فلطمه قائلا : أنا ابن الأكرمين فبلغ الخبر عمرا رضى الله عنه فكتب لعمرو : ياعمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ ثم استقدم الخصمين إلى المدينة وأوقفهما أمامه وأمر القبطى أن يضرب خصمه قائلا : اضرب ابن الأكرمين

وبعد فكيف لا يكون الاسلام بريئا من كل تعصب وبينما اليهود والنصارى يشتدون فى إيذاء الرسول وأصحابه وإذا بالقرآن يقول « ومن

قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ » ويقول « وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ » الآية ويقول « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » ويقول فى حق النصارى خاصة « وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ » ويقول أيضاً تأديباً للمؤمنين « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ »

هذا وقد كان المسلمون فى كل عصورهم حباً فى نشر العلم أو خدمة الانسانية وعملا بمبدأ التسامح الدينى الذى نص عليه كتابهم وأوصت به سنتهم يحاسنون عباد الله والفضلاء من أهل كل دين ويكرمونهم بصرف النظر عن مللهم ونحلهم وأنسابهم وقد كان فيهم النصرانى واليهودى والصابىء والسامرى والمجوسى فكان الخلفاء يعاملونهم بالرفق والاكرام مما يصح أن يكون مثالا صالحا للاعتدال والحرية والمساواة وقدوة حسنة لجميع أهل الأديان فى كل العصور والأزمان . ومن أمثال ذلك أنه وفد فى عصر العباسيين كثير من علماء النصارى واليهود والصابئة والبراهمة من الهنود وغيرهم على بغداد واختلطوا بالمسلمين ودخلوا فى خدمتهم لما أنسوه من العدل فى دولتهم وإطلاق حرية الأديان لرعاياهم والمساواة بين الناس حتى إنهم كثيرا ما كانوا يوسطون أمراء المسلمين فى فض الخلاف بين طوائفهم وأساقفتهم وملوكهم ورعاياهم ويعد من هؤلاء العلماء جورجيس بن بختيشوع طبيب المنصور

وابنه بختيشوع بن جورجيس الذى استقدمه الرشيد من جنديسابور ، ومنهم حنين بن اسحاق العبادى وهو من نصارى الحيرة وابنه اسحاق بن حنين ، ومنهم قسطا بن لوقا البعلبكى وهو من نصارى الشام ، ومنهم ماسرجويه وهو يهودى الملة سريانى اللغة وابنه عيسى بن ماسرجويه وثابت بن قرة الحرانى وهو من الصابئة وكان فى خدمة المعتضد العباسى وكان المعتضد يضعه فى منزلة فوق وزرائه وخاصته ، وابنه سنان وكان مقدما عند القاهر بالله والحجاج بن مطر وكان من تراجمة المأمون وعبد المسيح بن عبد الله الحمصى الناعمى ، واصطفان بن باسيل ، وموسى بن خالد ، وسرجيس بن بختيشوع وهو من غير آل بختيشوع المتقدم ذكرهم . والبطريق وكان فى أيام المنصور ويحي ابن البطريق وكان فى أيام الحسن بن سهل ، وأبو بشر متى بن يونس من أهل ديرقنى ويحي بن عدى وغيرهم .

هذا قليل من كثير وإليك بعض ماجاء فى رسالة النبى (صلعم) إلى رهبان دير القديسة كاترينا فقد جاء فى أول الرسالة :

« هذا كتاب كتبه محمد بن عبد الله بشير ونذير وأمين الخلق أجمعين لوديعة الله فى خلقه كى لاتكون حجة على الله بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما كتبه عهدا فى ذمة من هم على دينه لأولئك القوم الذين هم على دين النصرانية فى مشارق الأرض ومغاربها بعيدهم وقريبهم مجهولهم ومعلومهم هذا كتاب ماعهده إليهم فمن خالف مافيه من العهد يكون مخالفا ومفسدا لعهد الله وميثاقه ومستحقا للعنته إن يكن سلطانا أو كان غيره من المسلمين المؤمنين فمتى كان راهب أو سائح مجتمعا فى جبل أو واد أو مغارة أو معمور أو سهل أو كنيسة أو معبد فنحن من ورائهم وهم فى ذمتنا وإنى لأذب عنهم بنفسى وأعوانى وأنصارى هم وأموالهم ومعابدهم إذ أنهم من رعيتى وأهل ذمتى

فلا يسلب أحد سياحهم ولا يهدم بيتا من بيوت كنائسهم ولا يتلفه ولا يدخل شيئا منه إلى بيوت المسلمين وكل من أخذ شيئا من ذلك فيكون قد أفسد عهد الله وخالف رسوله . ولا يطرح خراج على قضاتهم ولا رهبانهم ولا من كان مشتغلا بالعبادة منهم ولا شيء آخر غرامة كان أو خراجا أو مظلمة فإني أحفظ ذمتهم في البر والبحر والمشرق والمغرب والشمال والجنوب أينما كانوا وهم في ذمتي وميثاق أماني من جميع مايكرهون إلى أن قال :ولا يكلفهم أحد بسفر أو يلزمهم بحرب أو نقل سلاح إنما المسلمون يحاربون عنهم ولا يجادلوهم إلا على أحسن وجه اتباعا للآية « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن » فيعيشوا مرحومين ويمنع عنهم مايكدرهم أو يضيق عليهم أينما كانوا وفي أي محل نزلوا وإذا تزوجت امرأة نصرانية بمسلم فلا يكون ذلك إلا برضاء تلك المرأة ولا تمنع من الذهاب الى كنيستها لأجل الصلاة . وتحترم كنائسهم فلا يمنعون من تعميرها ولا من ترميم أديرتهم ولا يلزمون بشيء مما يجب على المسلمين ، وانما المسلمون يذبون عنهم ولا أحد من الأمة يخالف هذا العهد الى يوم القيامة وانقضاء الدنيا هذا العهد الذي كتبه محمد بن عبد الله الى جميع ملة النصارى واشترط جميع ذلك ليفي به ومعه أيضا الذين أثبتوا أسماءهم وشهادتهم وقد أشهد الصحابة العظام عليه في اخره وهم : على بن أبي طالب ، أبو بكر بن أبي قحافة ، عمر بن الخطاب ، عثمان بن عفان ، أبو الدرداء أبو هريرة ، عبد الله بن مسعود ، عباس بن عبد المطلب ، الفضل بن عباس الزبير بن العوام ، طلحة بن عبد الله ، سعيد بن معاذ ، سعيد بن عبادة ، ثابت بن نفيس ، زيد بن ثابت ، أبو حنيفة بن عتبة ، هاشم بن عبيد ، معظم بن قريش ، الحارث بن ثابت ، عبد العظيم بن حسن ، عبد الله بن عمرو بن العاص ، عامر بن ياسر .

وقد كتب هذا العهد بخطه فى مسجد النبى (صلعم) على بن أبى طالب فى اليوم الثالث من المحرم والسنة الثانية من الهجرة

أو بعد هذا كله يقال ان المسلمين متعصبون ؟ فياليتهم حققوا مايأفك به الآفكون وتعصبوا ليقال بحق : قد تعصب المسلمون !.

لا إله إلا الله

« إِنَّنِى أَنَا اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِى وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِى » « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِى إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ »

لا إله إلا الله كلمة خفيفة على اللسان محببة للقلب والوجدان عظيمة القدر عند الرحمن نافية للشرك والشك عن القلب واللسان لأنها كلمة الاسلام وهى كلمة الايمان وكلمة الاخلاص والاحسان وهى كما جاء فى الأثر مفتاح السموات والأرض ، أما كونها مفتاح السموات فلأنها تنزه قلب المعتقد بها عن أسباب الشرك وشوائب النقص ولؤم الطبع وطاعة الشيطان واتباع الهوى ، وهى مفتاح الأرض لأن الاعتقاد بها من أقوى العوامل الاجتماعية فى تهذيب النفس الانسانية وتربية ملكاتها العليا وتحرير نظر الانسان العقلى وضبط ميوله وغرائزه فهى تلهمه قوة الحكم الصحيح على الأشياء وتحبب إليه العدل والانصاف ولو من نفسه فى سائر معاملاته وتعوده الاعتدال والقصد فى جميع ميوله وآماله وتزوده بالحكمة وقوة الارادة وعلو الهمة فى كل أحواله ومحاولاته فتصور يارعاك الله قلب انسان انسابت فيه تلك الكلمة انسياب النور على المرآة المصقولة التى تعكس صداها اللامع على كل شىء

يحيط بها .. وكذلك شأن كلمة الاخلاص « لا إله إلا الله » فى قلب المؤمن بها تعكس من ألوان نورها المجدد للحياة الروحية على كل شىء حوله ، وهل رأيت الزهر العاطر الذى يسكب عبيره على كل شىء يلامسه وكل شىء يستقبله وكل شىء يشمله جوه ؟ فذلك ماتصنعه كلمة الاخلاص بقلوب الناس وذلك حال يفقهه كل من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

ولا إله إلا الله عقيدة التوحيد والتنزيه لله فى ملكه وملكوته ولذلك هى أفضل مانطق به لسان متكلم وأسمى وأنبل ما انطوى عليه قلب معتقد وفيها يقول النبى (صلعم) (أفضل ماقلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير) وأنت ترى أن هذا الحديث قد جمع جوهر الدين وأسمى مقاصده وبيان ذلك فى خمسة أقسام

أولها : لا إله إلا الله وقد أفادت التوحيد فى سائر ضروبه ونواحيه

ثانيها : وحـــده لاشريك له وقد دلتنا على كمال التنزيه فى جميع وجوهه ونواحيه .

ثالثها : له الملك فلا سلطان لغيره ولا مشيئة سواه ولا تأثير لكائن فى فعله الا بإذنه ولا معتمد فى كل الأمور الا عليه .

رابعها : وله الحمد فلا يجب الخضوع إلا لأمره ولا ينبغى السجود إلا لعظمته ولا يقصد بالعبادة إلا وجهه ولا يقام الشكر والتحميد والتمجيد إلا لحضرته

خامسها : وهو على كل شىء قدير وتلك تقتضى وجوب الاعتقاد بأن ماقدره الله على عباده حاصل وما قضاه فى خلقه نافذ وما شاء الله كان وما لم يشأ لايكون .

ولقد علمت أسعدك الله بالايمان الكامل أن لشهادة أن لا إله إلا الله حقوقا من ضيعها فقد فقد أثرها فى نفسه وحرم ماينبثق فى باطنه من عبيرها

الطيب الذى يجمل النفس بمكارم الأخلاق وجليل الصفات .

ومن هذه الحقوق أن تعتقد اعتقادا لايخامره شك أن الأفعال والأقدار جميعها كالإسعاد والإشقاء والغنى والفقر والحياة والموت والعز والذل وسائر مايجرى فى الكائنات كلها كائن بمشيئة الله وتصريفه وتحت حكمه وسلطانه وان لو اجتمع أهل السموات وأهل الأرض على أن ينفعوك لاينفعوك الا بما أراد الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك لايضروك الا بما قدره الله عليك فلا ترهب فى الحق متعاظما ولا تخشى فى أفعالك وأقوالك مادمت ترضى الله متكبرا ولا عاتيا أو قاهرا لعلمك أن سائر الخلق عظيمهم وحقيرهم قويهم وضعيفهم ان هم الا مظاهر منفعلة لارادة الله الفاعلة وهيا كل مسخرة بمشيئته وأن لاحول لأحد من قبل نفسه ولا قوة لمخلوق الا بربه ومنها معاملة الخلق بالعدل وكرم الخلق وحسن السيرة وطيب السريرة فتعامل كبيرهم بالعدل والانصاف وصغيرهم بالحلم والشفقة والاحسان وأن لاتندم على مافاتك ولا تفرح بما اتاك لأن ايمانك بأن لا اله الا الله يوجب عليك كل ذلك

ومن أوثق هذه الحقوق بعد تمكين العقيدة اقامة ما فرضه الله عليك من صلاة وصيام وزكاة وصدقة وحج وما يتبع ذلك من صدق وورع وسماحه ولين جانب وعزة نفس وتمسك بحق وتنزه عن باطل وعفو عن الناس وتواضع للضعيف ورحمة به لعلمك أن المنفرد بالكبرياء والعز والسلطان والجبروت ومن له حق الثواب والعقاب هو الله وحده ولا مشاركة فى ذلك لأحد من خلقه ، كل هذا يوحيه اليك ايمانك بأن لا اله الا الله ويوجب عليك أيضا أن تعبده وتحبه وترحم عباده الذين لافضل لك عليهم إلا بالتقوى والتقوى هى فعل الطاعات وترك المحارم

ومنها اجتناب كل شبهة فى الدين أو فى المعاملة تؤدى إلى شرك أو معصية

وكذلك هجر كل ما من شأنه أن يؤدى إلى التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأولاد والأموال وكل ما يبعثك على الحسد أو الغيبة لأن هذه كلها من كبائر المعاصى التى تنافى الطاعة الاسلامية ولا تتفق مع حقوق لا إله إلا الله

ومنها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتضامنك مع إخوانك المسلمين فى جميع أطراف الأرض شرقها وغربها وشمالها وجنوبها لتحصل بذلك رابطة التوحيد وتتم أخوة المؤمنين وهو معنى قول الله تعالى « واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا ولا تَفَرَّقُوا »

تلك الأمور التى إذا ضيعتها أمة فقد ضعفت شوكتها وانهد ركنها وزال عزها وعاشت مستضعفة ذليلة وخادمة مستكينة لغيرها من الأمم التى اتحدت وتضامنت

ومن أولى بهذه الصفات الكريمة من أهل الاسلام والايمان ؟ وإذا كان المسلمون يؤمنون حقيقة بالله وبما أنزل فى كتابه على لسان رسوله (صلعم) من تشريع وأدب واعتصام بالله فإن كمال هذه العقيدة وعقدة نظامها شهادة أن محمداً عبد الله ورسوله وأنه اختاره واجتباه وأوحى إليه الرسالة التى صيرتنا خير أمة أخرجت للناس

ومن حقوق هذه الشهادة أيضاً : دراسة حياته (صلعم) وأطوار رسالته وحياة أصحابه والتأسى بهم والعمل بهديهم والسير على مقتضى سننهم ومنها دراسة القرآن الذى جاءنا به من عند الله دراسة اعتبار وتعلم واتباع والعمل بما فيه من القوانين والأحكام وتفهم مايحتويه من النظريات الكونية التى تحض على النظر فى خلق السموات والأرض وفى خلق أنفسنا وما يقتضيه ذلك النظر من الفنون والعلوم الطبيعية والرياضية والنفسية والاجتماعية

والاقتصادية والتحلى بآداب الاجتماع التى فاضت بها سور القرآن وأفعمت بها آياته

الايمان فى نظر أهل الاسلام

الإيمان هو مفتاح أسرار الكائنات ومصباح الهدى يضىء للسارى ماأظلم من مفاوز الحياة وهو المعين الفياض الذى تستمد منه سائر الارادات القوية سر قوتها لأنه الأصل الأصيل والدعامة المثلى لكريم الخلال كالصبر والعزيمة والاقدام والثبات وهو أب الأمل وأخ الاقدام وقرين الرجاء ، وهو روح القدس الذى يتنزل على قلوب الرسل والأنبياء وملهم الحكمة العالية لنفوس الحكماء والعظماء وهو نغمة الحب الالهى السحرية فى فؤاد المحبين بل هو الحب نفسه من جهة مثله الأعلى ومعناه الشريف الذى تفهمه النفوس العظيمة وتلهمه الوجدانات المبصرة . وهو تلك القوة العلوية القاهرة التى ساقت نوابغ القواد إلى ميادين النصر فأسموها شجاعة ودعت من قمة مجدها أهل الوطنية إلى الصبر والجهاد فى سبيل الواجب فتأكدوا أنها التضحية وتنزلت إلى أفئدة المخترعين والمكتشفين فقالوا إنها شرف العلم ، وظهرت لعشاق الأخلاق الكريمة فآثروا العفة والفضل وتجلت بنورها السماوى الساحر لقلوب العظماء فأيقنوا أنها العظمة وللصديقين والحكماء فتحققوا بأنها الحقيقة

والايمان فى أبسط معانيه هو الثقة بالنفس والمجد للأمة وروح القومية للشعوب التى تعرف معنى الحياة الصحيحة والايمان فى الانسان هو قوته المعنوية وان رجلا بلا إيمان رجل ضائع والأمة التى لا يتمثل الايمان فى قلوب أبنائها أمة ضعيفة بل ميتة وناهيك بأمة فاقدة لحياتها المعنوية والايمان عمل قلبى ليس للتظاهر ولا للرياء والتصنع فيه مجال فهو إذعان للحق وقبول له يصحبه اعتقاد لا تزيله الشبه ولا تزعزعه الشكوك وإذا غرست شجرة الايمان فى

قلب وسقيت بماء اليقين أثمرت الاخلاص ، والاخلاص هو القوة الهائلة التى تفل الجحافل وتزيل الحواجز من وجه المؤمن الصادق المخلص لله ألم تر إلى ذلك النفر القليل من أصحاب رسول الله (صلعم) حينما تشبعت بنور الايمان الخالص قلوبهم وامتزجت ثمرته بنواياهم وسرائرهم قاموا بمقتضى ذلك لنصرة رسول الله (صلعم) قومة صادقة زلزلت القلوب وثلت العروش وفلت الجيوش المتداعية عليهم يومئذ تداعى الجراد المنتشر وهم قليلون فانتصروا بإذن الله وما عاقتهم عن النصر قلتهم إذ كانت مرتكزة على الايمان الخالص رابطتهم وهو سبب قوتهم «الَّذينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إيمَاناً وقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ ونِعمَ الوَكِيلُ. فانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ واتبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ واللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ »، الإيمان لغة هو مطلق التصديق ودليله ماقاله الله سبحانه وتعالى حكاية عن بنى يعقوب «وَجَاءوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ . قَالُوا ياأَبَانَا إنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِند مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لنا وَلَوْ كُنَّا صَادِقينَ» أى وما أنت بمصدق لنا . وشرعا هو التصديق بكل ماجاء به النبى من عند الله كالايمان بالله سبحانه وتعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر وهذا الايمان ينمو ويزيد بالعمل ويضعف وينقص بالمعصية ودليله قول الله سبحانه وتعالى (قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الايمَانُ فى قلُوبِكُمْ) وقوله عز وجل (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهتَدُونَ)

والايمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان قال الله سبحانه وتعالى (إنَّ الَّذينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ استَقَامُوا تتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلَائِكَةُ ألا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بالجَنَّةِ الَّتى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) وقال رسول الله

(صلعم) (لا يقبل إيمان بلا عمل ولا عمل بلا إيمان) وذلك لأن الناس يستوون فى التصديق ويتفاضلون بصالح الأعمال التى تزيد اليقين وتثبت وجود الايمان فمن شهد واعتقد وعمل فهو مخلص ومن شهد وعمل ولم يعتقد فهو منافق ومن شهد واعتقد ولم يعمل فهو فاسق ومن لم يشهد ولم يعتقد ولم يعمل فهو كافر

والايمان خمسة أقسام : إيمان مطبوع ، وإيمان معصوم ، وإيمان مقبول ، وإيمان موقوف ، وإيمان مردود

فالايمان المطبوع هو إيمان الملائكة ، والايمان المعصوم إيمان الرسل . والمقبول إيمان المؤمنين الصادقين ، والايمان الموقوف هو إيمان المبتدعين والفاسقين وأما المردود فإيمان المنافقين « وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ . اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ »

وللايمان ثلاث مراتب : إيمان تحقيق ومعناه أن ينطوى قلبك على وحدانية الله تعالى وحدانية منزهة عن الشبيه والمثيل والشريك والمعين وتصديق جميع مايجب الإيمان به شرعا تصديقا شهوديا بحيث لو خالفك جميع أهل العالم فيما انعقد عليه قلبك لاتجد فى نفسك شكا ولا ريبا فيما اعتقدته ولا أثر لمعنى من المعانى التى تنافى نور اليقين وذلك إنما يحصل عند ظهور أنوار الربوبية على صفحات القلوب النقية

وإيمان استدلالى وهو أن تستدل بالمصنوع على الصانع وبالمخلوق على الخالق وبالأثر على المؤثر استدلالا بصحيح البرهان الذى يورث خالص الايمان .

وإيمان تقليدى وهو أن تعتقد بوحدانية الله وسائر ماجاء به رسوله تقليدا لآبائك وعلماء أمتك ولو بغير حجة ولا برهان وهذا الايمان وإن كان

قريب التزلزل سريع التزعزع بأقل تشكيك من مشكك ولكنه قد يكون مقبولا بالنسبة للعوام الذين لا يقدرون على أكثر منه . وهذا الايمان التقليدى يخشى عليه من السلب أو الرد والعياذ بالله إذا لم يحصن بالاستقامة والتقوى

وقد جرى عند أهل ملة الاسلام مجرى الوجوب الحتمى ان المسلم المستشعر لنور الايمان بين جوانحه يجب أن يكون غيورا على أحكام الاسلام عاملا بها قائما على تعليمها لغيره بقدر طاقته وعلمه أينما سار وحيثما ذهب وفى أى جماعة وأى بلد « وَالمُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ »

والايمان نور مستبطن إذا سكن البواطن ظهرت نفحاته بمظهر الخشوع والطاعة على الجوارح والمسلم الذى لاخشوع ولا طاعة ولا خشية لله عنده مسلم ضعيف الايمان ودعى عاطل فى أهل الملة الاسلامية لأن الايمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان كما تقدم ومن أخص معانى الاسلام النية والعمل المصحوبان بايمان فهو قواعد عملية لا قولية مجردة بدليل قواعده الخمس الواجبة على كل مسلم ومسلمة .

الاسلام والعلم

« شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالمَلائِكَةُ وأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ »

إن الدين الإسلامى يتجلى لعقل من يدرسه درسا محكما منزها عن الغايات أو العصبية كحقيقة مدعمة بالدليل الواضح أنه دين الفطرة ومهد الألفة الفكرية ورائد الحق وعدو الجهل وصديق العقل وممهد الطريق للعلم وخادم الإنسانية وهو المصدر الأعلى لقوانين الاجتماع وقواعد الأخلاق

ولا أدل على ذلك مما جاء فى القرآن ذلك الكتاب العزيز الذى هو المرجع لقواعد الإسلام وأصوله والذى هو أول كتاب دينى تصدى لسرد معظم قواعد العلوم وأصولها فتكلم عنها واحدة فواحدة آونة تصريحا وآونة أخرى تلميحا وكان ذلك قبل أن تكتشف تلك النظريات بل وقبل أن يخلق العلماء المحدثون الذين تكلموا فيها وشرحوا أصولها ودونوا فروعها

نعم فإن القرآن قد تكلم إجمالا عن الكائنات من الغاز إلى السديم إلى الأفلاك والكواكب والشهب والنيازك إلى الشمس ونظامها والأرض وانشقاقها عنها ، وتكلم عن الخلقة وتكوين الجنين والتطور والترقى وأصل الأنواع والنبات والحيوان ومصير العالم ودورة الأرض حول نفسها وحول الشمس وتكلم عن أمهات الأخلاق وقواعد الاجتماع والشورى والحرية وغير ذلك من قواعد المعارف التى لايحتمل المقام تفصيلها وإليك بعض الآيات الدالة على بيان ماقدمنا فى القرآن :

يقول الله سبحانه وتعالى :

« وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ . وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ »

وفى هذه الآية ما يشير إلى البواخر والمدرعات والغواصات والطائرات ويقول:

« وَالْخَيْلَ وَالبِغَالَ وَالحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ويَخْلُقُ مَالاَ تَعْلَمُونَ »

أى فى المستقبل إشارة إلى السيارات والدراجات وما إلى ذلك ويقول

« وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ » .

إشارة إلى الميكروبات وغيرها من الكائنات الخفية المسببة للأمراض

والعدوى وإليك آيات جامعة لقصة الخلق وابتداء التكوين إجمالا من الأعلى إلى الأدنى ثم من الأدنى إلى الأعلى وذلك فى قوله تعالى

« اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ . يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَي الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ . ذٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ »

ولنتأمل قليلا فى قوله تعالى : « عالم الغيب والشهادة »

ونحن نجد العلم يقول : إن العالم عالمان : عالم المادة وعالم القوة ، فعالم المادة هو عالم الحس أو عالم الشهادة فى لغة القرآن ، وعالم القوة هو عالم العلل والمهايا والذوات وهو عالم الغيب فى نظر القرآن .

هذا هو أصل العلم الحديث وأساس جميع قواعده ، لأن سائر الموجودات فى نظر العلم وكذلك فى نظر القرآن هى قوة تفعل فى المادة ، ومادة تكونها القوة . والكل بأمر الله عالم الغيب والشهادة الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام . والمراد بالأيام هنا الأدوار التى اجتازتها الطبيعة فى تكوينها ثم فى تطورها وترقيها بدليل قول الله تعالى فى نفس الآية تصريحا لا مجازا ولا تلميحا

« فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ »

بل وقوله فى موضع آخر من القرآن

« فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ »

ثم يلى مسألة القوة والمادة مسألة السديم والغاز ، وتكوين الكواكب والأفلاك ، التى هى السماء فى لغة القرآن .

وذلك فى قوله تعالى

« ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ » وقوله : « يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ »

ثم مسألة انشقاق الأرض عن الشمس وصيرورتها سيارا تابعا من توابعها وهذا صرح به القرآن فى قوله تعالى

« أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا »

وفى قوله السموات والأرض ، ولم يقل الشمس والأرض إشارة إلى أن الشمس أيضا منشقة عن غيرها وهكذا .

وهذا دليل على أن العوالم قبل تفصيلها كانت كتلة واحدة كما يقول العلم ثم تكلم عن بقية علم الفلك اجمالا فى جملة آيات كقوله :

« تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا »

وقوله : « وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ » « وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ » . « وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ » . « هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ »

وفى قوله الشمس ضياء والقمر نورا ، إشارة الى ما قرره العلم من أن القمر يستمد نوره من ضوء الشمس .

وفى قوله وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، إشارة إلى علم

الميقات الذى هو فرع مهم من فروع علم الفلك تدور عليه مصالح الناس ومواقيتهم

وتكلم القرآن عن الحركة الدائمة شخوصا وهبوطا بين الأفلاك والكواكب والسيارات فقال

« وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ . وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ » وقال « لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ »

ثم تكلم عن ذوات الأذناب والشهب والنيازك ، والرعد والبرق والصواعق تصريحا وتلميحا فى قوله

« وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ . النَّجْمُ الثَّاقِبُ » « فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا » « إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ » « هُوَ الَّذِى يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ . وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ »

وفى قوله تعالى : هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعاً وينشىء السحاب الثقال إشارة الى أن السبب فى الرعد والبرق الكهربائية الناشئة عن احتكاك السحاب .

ثم تكلم القرآن عن كيفية خلق الأرض من مبدأ كونها كتلة ملتهبة إلى ظهور الحياة على سطحها فقال فى كيفية بدء تكوينها :

« أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ . أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ

أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَايَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ »

ومعلوم عند أهل العلم أن الأرض حين انفصالها من الشمس كانت كتلة سديمية من السائل الملتهب دارت حول نفسها ثم أمطرت السماء عليها أدوارا طويلة حتى تكونت بحارها ثم تكونت على مدى هذه الأدوار قشرة اليابس منها . وذلك بواسطة التبخر والأمطار المتتابعين . وأراد الله أن يعلمنا الكيفية التى بدأ بها تكوين الأرض فقال أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا أى طافيا فوق الماء من أثر غليانه . ولما ذكر الله هذا الزبد الذى لايظهر إلا عند اشتداد غليان الماء ذكر الزبد الذى يقابله فى غليان المعادن وغيرها حيث قال ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله أى مثل الزبد الذى تكونت منه الكرة الأرضية والحاصل من التفاعل بين النار والماء والذى تكونت منه الذرات والعناصر والمعادن وفى قوله بقدرها أى بتقدير مقاس وموزون فى نسبة بعضها إلى بعض .

وتؤخذ كيفية بدء تكوين الأرض أيضا من قول الله تعالى

« إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ . وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ . وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ . وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ . وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ »

ومعنى قوله وإذا البحار سجرت أى التهبت واشتعلت من شدة الحرارة والغليان . فان قيل ان هذا يوم القيامة يوم يفنى الله الدنيا . فنقول : قال الله تعالى « كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ »

ويؤخذ من هذا أن البدء والنهاية على نمط واحد هو مالايحتاج إلى تأويل وبعد أن جمدت قشرة الأرض وخبت حرارتها وصارت صالحة لظهور

الحياة فيها بدأ الله بخلق النبات والحيوان ومهدها لسكنى خليقته التى خلقت فيما بعد ودلنا على ذلك بقوله

« وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا . أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا . وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا » وقال « وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ . وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ . وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ » وقال « وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ . هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ » وقال « وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ »

ثم تكلم عن ظهور الحياة على الأرض ووصف الحيوانات الأولى من اللافقارية ثم الفقارية والزاحفات والطيور وغيرها فقال

« وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » « وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ »

وفى قوله تعالى فى الآية المتقدمة والله خلق كل دابة من ماء ، اتفاق مع العلم الذى يقول ان الحياة أول ماظهرت فى الماء ، ومن الماء انتشرت على الأرض ثم أشارة إلى الأمية أو الخلية الأولى وذلك فى قوله أيضا

« وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ »

ثم تكلم القرآن عن التكوين الجنيني فقال

« وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِن طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ »

ومعلوم أن الميكرسكوب حين نزول الآية لم يكن قد اخترع بعد

ولم يكتف القرآن بذلك بل تكلم عن تطور الإنسان من بدء تكونه جنينا إلى أن يولد فيبلغ أشده فيكون رجلا ، فيكبر ويقوى ، ثم يشيخ ويضعف إلى أن يموت فقال

يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُم مَّنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً » وقال « اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ »

ومن قول الله سبحانه وتعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين إلى قوله فتبارك الله أحسن الخالقين . أفضل وأوضح تحليل علمى لمسألة نشوء الجنين وتطوره فى الرحم . تلك المسألة التى تضاربت فيها آراء العلماء وكتبوا فيها العدد العديد من المجلدات وهى كما ترى فى ترتيب القرآن تتفق تمام الاتفاق مع وصف العلم الحديث لها واليك ماقال العلم فى ذلك :

ان الجنين يتكون فى الرحم وينمو فيه حتى يتم تكونه . والرحم موضوع فى التجويف الحوضى بين المثانة والمستقيم . شكله كمثرى مسطح من الأمام الى الخلف وطرفه العلوى عريض وهو القاع وطرفه السفلى ضيق وهو العنق ويتصل به المبيض برباط خاص يقال له الرباط الرحمى المبيضى الذى يتصل بكيس فيه حويصلات عديدة يقال لها حويصلات (غراف) والحويصلة قبل العلوق عبارة عن غلاف غشائى مشغول بسائل زلالى تسبح فيه حويصلة صغيرة اسمها الحويصلة الجرثومية مؤلفة من غشاء شفاف يتضمن سائلا صافيا وفيه البقعة الجرثومية . ومن هذه البقعة الجرثومية تبدأ حياة الجنين . والحويصلة أو البويضة لاتخرج من المبيض الا فى زمن الحيض وتنتقل الى الرحم بواسطة بوق (فلوبيوس) وفيه تتلقح . فاذا حصل العلوق استقرت البويضة فى الغشاء المخاطى المبطن للرحم وهناك يبدأ تكون الجنين . ولا ينزل الدم حينئذ لأنه يتحول إلى غذاء له . وأول تغيير يحصل فى التكوين الجنينى ان البقعة الجرثومية تستطيل ثم تصير كمثرية الشكل ويظهر فى مركزها بقعة تسمى البقعة الصافية يبدو فيها ميزاب قليل الغور يقال له الميزاب الأصلى وهو أول مايظهر من الجنين ، وهذا الذى عبر عنه القرآن بالعلقة ، لأن البويضة فى هذه الحالة تتمدد وتنقسم إلى خلايا حتى تصير كالعلقة فاذا تمت هذه العلقة أخذت تتنوع خلاياها وتتميز أجزاؤها حتى تصير فى آخر الشهر الأول مثل بيضة الحمامة فتصير مضغة لحمية لأنها تكون بقدر ما يمضغ فى الفم ، ويكون بعضها مخلقا وبعضها غير مخلق ، كما وصف الله سبحانه وتعالى ذلك فى القرآن تماما حيث يقول

« فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ »

وفى قوله إنا خلقناكم من تراب فى أول الترتيب إشارة الى الخلق الأول أو إلى كون النطفة التى هى سبب التلقيح من الغذاء الذى أصله من تراب

ثم يأخذ الجنين فى التكون بعد ذلك حتى تصير جميع أعضائه متميزة ظاهرة ويكون جلده رقيقا شفافا وتبدو أظافره على هيئة صفائح رقيقة. وبعد ذلك يتضاعف وزنه ويبدو شعره ويتكون فمه وأنفه حتى الشهر الخامس فيأخذ فى الحركة، وفى الشهر السادس تتميز فيه الأدمة والبشرة وتكون عيناه مقفلتين وتجمد أظافره وتتكون خصيتاه فى تجويف بطنه أو تظهر فيه أعضاء الانوثة ان كان انثى. وفى الشهر السابع يتم خلقه وتبدو عظام جمجمته وكل أعضائه تكتسب صلابة ونموا ويتم شعره ويفتح عينيه إلى أن يصير فى الشهر التاسع فيتكامل نموه ويخرج إلى عالم الوجود

وذلك معنى قول الله تعالى

« ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ »

أى إنسانا سويا كاملا فى أحسن تكوين ذا عقل وإدراك وتمييز وسمع وبصر

« فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ »

وقد علمنا مما تقدم فى وصف العلم لتكوين الجنين، أن الإنسان مخلوق من البويضة الملقحة بنطفة الرجل وبالسائل السابحة فيه بويضات المرأة المنفصلة من حويصلات (غراف) ومن البوق، وهذا أيضا يسمى نطفة. والنطفة كل ماء قل أو كثر وهذا معنى قول الله تعالى

« إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ »

والأمشاج الخليط. والمراد به اختلاط النطفتين

وانظر إلى قول الله تعالى « الَّذى خَلَقَ. خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ » كيف اتفق مع العلم القائل بأن سبب الحمل وجود حيوانات فى ماء الرجل

تسمى حويوانات التلقيح ، لو نظرنا فيها بالميكرسكوب لرأيناها أشكالا متنوعة وكلها فى شكلها مثل العلق . وهذا غير قوله ثم من نطفة ثم من علقة كما لا يخفى .

ثم انظر إلى قوله تعالى

« يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ »

واعلم أن المراد بالظلمات الثلاث

(١) ظلمة المبيض الذى تتكون فية البويضة داخل حويصلة غراف

(٢) وظلمة البوق حيث تتلقح البويضة بالحويوانات المنوية

(٣) وظلمة الرحم الذى يتم فيه تخليق الجنين .

ثم أراد الله أن يعرفنا أن عملية التلقيح وعملية تكوين الجنين هى فى سائر الحيوان والنبات كما فى الانسان تقريبا ، فبين ذلك بقوله

« سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ »

وفى قوله تعالى (ومما لا يعلمون) إشارة إلى خلق الميكروبات وتكاثرها لأنها تتكون بطريقة لاترى وهى تتوالد وتتناسل وتتكاثر أيضا وأيد ذلك بقوله

« وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ »

سواء فى الانسان والدواب والنبات (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) أى لعلكم تتفكرون وتعتبرون

ثم أفرد النباتات بالذكر ليعلمنا وجود ذكر وأنثى فى كل زهرة ونورة من زهورها ونورها لإثمارها فقال

« وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ » « وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ » « وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى »

وعلمنا أن أعضاء التذكير فى النبات تلقح أعضاء التأنيث بواسطة الرياح من قول الله تعالى (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ) كما أثبته العلم .

وقرر العلم أن العناصر الداخلة فى تركيب النبات كلها واحدة وإنما تتفاوت أنواعه بنسبة تفاوت تركيب بعض هذه العناصر عن بعض فى خلايا تلك الأنواع وقد سبق القرآن العلم فى ذلك فقال

« وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ » وقال « وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ »

وفى مجموع الآيتين اشارة أيضا إلى الثقل النوعى للاجسام

وقد علمنا العلم أن كل عنصر لا يأتلف مع غيره كميائيا إلا على نسبة مقدرة بمقدار محدود ويسمى ذلك قانون النسبية الجوهرية أو الكم الذرى ويقول القرآن فى ذلك :

« وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ . عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ »

والغيب هنا ما غاب عن الحس كالعالم الطاقى الذرى والشهادة ما بدا للنظر من الجزئيات والأجزاء للجواهر المادية .

ويقول العلم بتطور الأحياء عموما ويقول القرآن

« مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا » وقال « كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ »

وفيه إشارة إلى الانتخاب والتطور .

وتكلم القرآن عن التنازع الحاصل بين الناس فى الحياة فقال :

« وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ » وقال « وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ »

وعلمنا القرآن أن الأرض معلقة فى الفضاء بقدرة الله تعالى فقال

« وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ »

وتكلم القرآن عن قانون الجاذبية فقال

« وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ » وقال « إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا »

وتكلم عن عدم تناهى الفضاء فقال

« وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ »

وتكلم عن تفرطح الأرض من جهة قطبيها فقال

« أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا »

وتكلم عن قسمى اليابسة الجغرافيين فقال

« رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ »

لأن المشرق فى أمريكا مغرب لنا والمشرق عندنا مغرب عندهم

وتكلم عن ميدان الأرض وتحركها لغليان باطنها ورقة قشرتها فى بداية تكوينها فقال

وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ »

والرواسى الجبال

وتكلم عن الزلازل والبراكين فقال

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا . وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا » « انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ . لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ . إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ »

وتكلم عن الفحم الحجرى وعلمنا أن أصله نبات طمر فى الأرض حتى تحجر فقال

« وَالَّذِى أَخْرَجَ الْمَرْعَى . فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى »

أى شديد السواد

وتكلم عن دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس فقال

« وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ »

وتكلم عن حمل السحاب للماء المتبخر من الأرض ونزوله ثانيا فى شكل مطر فقال :

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَّنْ يَشَاءُ »

وتكلم عن وجود الجراثيم أى الميكروبات فقال

« فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا » « تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّنْ سِجِّيلٍ »

والسجيل هو طين المستنقعات الذى جف

وتكلم عن الطيران وبين لنا إمكان سفر الانسان بطريق الجو فقال

« فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ » « وَلِسُلَيْمَنَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ »

أى يقطع ما مسافته شهر فى نصف يوم لأن الغدو من الصبح إلى الظهر والرواح من الظهر إلى المساء .

بل أنزل الله سبحانه وتعالى من الآيات أوضح من ذلك فى مسألة الطيران وذلك قوله « وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ . وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ »

وفى هذه الآية تكلم عن البواخر ومايتبعها من نسافات وغواصات فى قوله

« الفُلْكِ الْمَشْحُونِ »

ومعنى الفلك المشحون الممتلىء بما يسيره ويدفعه من بخار وغيره . وليس المراد بالمشحون الحمولة لامتناع ذلك بقوله (وَحَمَلْنَا) كما لا يخفى .

وأما عن الطيران فقوله :

« وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِّنْ مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ »

لأن الطيارة فلك هوائى يسير فى الهواء كما تسير الباخرة فى الماء حتى ان الطيارة أصبحت سفينة هوائية ومائية معا بمعنى أنها تسير فى الماء كما تسير فى الهواء

وفى قوله تعالى :

« وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ » من آية « وَالْخَيْلَ وَالبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ »

تنبيه على ذلك وإشارة الى كل ما استجد بعد نزول القرآن من وسائل النقل الميكانيكية كالقاطرة الحديدية والسيارة وغيرها

لأنه وإن كانت كل وسائل النقل فى الزمن الذى أنزل فيه القرآن كلها وسائل حيوانية كالجمال والخيل والحمير والبغال . إلا أن الله سبحانه وتعالى حينما سرد للعرب ذلك تعريفا بنعمه عليهم خاطبهم فى نفس الآية قائلا :

« وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ » فى المستقبل من وسائل أخرى للنقل لم تستعدوا بعد للعلم بها حتى ولا لكيفية استعمالها .

وتكلم القرآن عن صعوبة التنفس فى طبقات الجو العليا عند قوله تعالى

« فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ »

والمراد فى قوله حرجا كأنما يصعد فى السماء .

وتكلم القرآن عن التصوير الشمسى فى قوله

« أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا . ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا »

وكل من له إلمام بفن التصوير يعلم أن التصوير الشمسى هو قبض الانعكاس الظلى للضوء المنبعث من المرئى على عدسة الآلة المصورة .

وقد تكلم القرآن عن الكهرباء ضوءا وحرارة فى قول الله تعالى

« اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ »

فنى قوله المصباح فى زجاجة كأنها كوكب درى إشارة إلى الضوء وقوله يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار إشارة إلى الحرارة الذاتية بغير إشعال والمراد بالزيتونة التى هى لاشرقية ولا غربية تمثيل السيال الذى يسبب الحرارة والضوء ومثل بالزيتون لأن الناس كثيرا ما كانوا يستصبحون بزيته قبل أن يكتشف زيت البترول وغاز الفحم والكهرباء . ولكى يلحظ قارىء القرآن الفرق الهائل بين المشبه والمشبه به جعل الزيتونة لاشرقية ولا غربية دلالة على أن المشبه شىء أدق وأعمق من كل ما نرى بأبصارنا على سطح الأرض شرقا وغربا ولا غرابة فى تمثيل السيال المتفرعة عنه جميع القوى الكهربائية بشجرة إذ مثل الله سبحانه وتعالى فى غير هذه الآية عالم أمره وقوته العليا الذى تتفرع عنه وتنتهى اليه جميع نواميس العالم وقواه وأنظمته وعوالمه وأفلاكه ومخلوقاته

بالسدرة وهى شجرة ، وذلك فى قوله تعالى

« عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَي . عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى . إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى »

أى مايغشى من الأوامر الالهية والتقديرات الكونية إيجادا وافناء واثباتا ومحورا . والمراد بسدرة المنتهى شجرة النهاية ، نهاية الأسباب والمسبباب وهى شجرة على سبيل المجاز لا على سبيل الحقيقة كما لا يخفى هذا ولنرجع إلى مانحن بصدده من آية الكهرباء فنقول . ومعنى قول الله تعالى : نور على نور أى نور القوة الباطنية للسيال على نور العلم الذى هيأ الجهاز الظاهر وبتعبير أعلى : نور قدرة منور السموات والأرض على نور العقل الذى منحه الانسان واقتدر به على استخدام القوة العامة وتوجيهها ثم تسخيرها لمنافعه واستخدام ماينفعه من خواصها الطبيعية ولذلك قال سبحانه وتعالى فى عجز الآية يهدى الله لنوره أى لسره فى ابداعه وحكمته فى صنعه من يشاء من عباده الذين تقربوا إليه بالفكر أو بالعلم أو بالعبادة ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم أى محيط علماً بكل مايصنع مما هو ظاهر أو خفى ، ويكون المراد بعموم الآية من النور إلى المصباح والزجاجة إلى الزيتونة التمثيل أى ضرب الأمثال فقد عرفنا الله سبحانه وتعالى بأنه هو منور السموات والأرض بقوله : الله نور السموات والأرض واتخذ لذلك نور الكهرباء مثلا فشبه ذلك بالمصباح والزجاجة التى كأنها كوكب درى يكاد يضىء ولو لم تمسسه نار ، ومثل السيال الذى يمد هذا الضوء بالشجرة كما تقدم ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم . وفى قوله تعالى

« اللهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا » وفى قوله « وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ »

إشارة إلى المغنطيسية العامة كما أن فيه إشارة الى جاذبية التماسك كما تقدم.

وتكلم القرآن عن خلود الحياة وأنها لا تفنى بفناء الجسد وأن للأحياء العليا عالما وراء هذا العالم تعيش فيه بكامل معانى الحياة وذلك فى مثل قوله تعالى

« وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ »

ومفهوم أن الذين لم يلحقوا بهم هم الذين لم يخرجوا من الدنيا بعد

وتكلم عن استحضار الأرواح وبين أن منها الخيرة ومنها الشريرة وأن للأرواح الخيرة القدرة على نقل الأشياء من الأمكنة البعيدة إلى حيث تريد أو يريد مستحضرها الذى أمرها وذلك فى مثل قول الله تعالى حكاية عن سليمان ووزيره آصف بن برخيا والروح الشرير الذى أسماه عفريتا من الجن

« يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ . قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ »

فالطالب سليمان والعرش عرش بلقيس والعفريت الذى قال أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك روح شرير والذى عنده علم من الكتاب آصف ابن برخيا وزيره الذى كان عالما باستحضار الأرواح . ولرسوخه وقدرته على ذلك قال له أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك . فلما رأى سليمان العرش مستقرا أمامه شكر الله على فضله وقدرته وقال هذا من فضل ربى

ثم أشار القرآن إلى علم التنويم المغنطيسى وذلك فى قوله تعالى حكاية عن أهل الكهف

« إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا . فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا . ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا » « وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ » وفى قوله « « ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ » وفى قوله « أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »

والشاهد فى إلقاء النوم على أهل الكهف وعلى المجاهدين فى سبيل الله وعلى عزير الذى قال

« أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ » إلخ وفى قوله « وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وهُمْ رُقُودٌ »

نص صريح على التنويم وفى قوله (أَمَنَةً نُّعَاساً) كذلك .

وتكلم القرآن فى علم النفس « الثيولوجيا » إجمالا فجمع سائر قواعده وأصوله فى ألفاظ قليلة وذلك عند قول الله تعالى

« وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا »

والتزكية هى التسامى ، من زكى النار والتدسية هى التدنى والتنقص من دسى النار أخفاها وأخمدها

وتكلم عن أساس الشرائع والديانات كلها فى آية واحدة وهى قوله تعالى

« فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى . وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا »

وصرح بأن كل انسان مجزى بأعماله محاسب على سائر هفواته بشهادة ضميره وذلك فى قوله تعالى

« فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ »

وفى قوله « وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى » وقوله « فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ »

وقد جمع القرآن سائر علوم الاجتماع فى آية واحدة وإن كانت أكثر آياته آيات اجتماعية ولكن هذه الآية فى هذا الباب تعتبر آية فريدة جامعة لكل مايحتاج الاجتماع إليه من الضوابط الأدبية وهى قول الله تعالى

« وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِى الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ »

وعلم القرآن المسلمين مبدأ الجمهورية ووضع لهم قواعد الشورى فى قوله تعالى خطابا للنبى (صلعم) « وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ »

وفى وصفه للمؤمنين الأولين بقوله

« وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ »

ووضع مبدأ المساواة بين الناس وان لا فضل لأحد على غيره إلا بزيادة الإنسانية وهى معنى التقوى وذلك فى قوله تعالى

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ »

لا أقواكم ولا اعلمكم ولا أغناكم ولا أعتاكم . ودعم مبدأ الاخاء بين الناس فقال

«إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ»

وأمرهم بتحقيق العدالة ومكارم الأخلاق بمثل قوله

« إِنَّ اللهَ يَأمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ »

وعلم القرآن أهل الإسلام فوائد التاريخ وحثهم على إستيعابه وتفهمه والاستفادة منه وذلك بمثل قوله تعالى خطاباً للنبى (صلعم)

« وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ » وقوله « نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ »

وأمرهم بالنظر فى الكائنات عموما فى مثل قوله تعالى

« قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ »

« قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْأُخِرَةَ » وقوله « أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ . وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ . وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ »

وتكلم عن فناء العالم عموما وتحوله إلى حياة أخرى فقال

« وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً . ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً » «مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى» «يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَهِيلًا » « يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا . وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا » « يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ . وَتَكُونُ

الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ » « يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمٰوَاتُ »

هذا وليعلم الناس قاطبة أن الإسلام دين العلم وروح المدنية وهو الدعامة الحية والعامل القوى الذى يأخذ بيد الإنسانية إلى التقدم والرقى وكلما ارتقت الإنسانية فى معارفها وفنونها وأشرفت على معانى انسانيتها وروحيتها كشف لأهل العالم عن حقيقة الإسلام ومقاصده النبيلة

« وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ »

بين العلم والدين

تكلمنا عما يحويه القرآن من قواعد العلم الحديث أصولا وفروعا. والآن نتكلم عن الاتفاق الحاصل بين الدين الاسلامى والعلم دحضا لمفتريات القائلين بأن الدين عموما لا يتفق والعلم وذلك قياساً على ديانات قديمة عرفوها فعمموا القاعدة وابتدعوا على العلم فرى لا يقولها وعلى الدين فى عمومه أباطيل هو برىء منها. وما العلم فى الحقيقة الا ناحية تأملية ترى للناظر المدقق كأنها ناحية من نواحى الدين ممهدة له وباعثة عليه حينما يضطر العالم عقله لاستطلاع ماوراء دائرة تجاربه العلمية التطبيقية من آفاق عليّة للحصول على اليقين العلمى أو الألفة العقلية التى تربط بين الأسباب ومسبباتها. فالدين وهو المعتقد فى أية صيغة وعلى أى لون كان هو النتيجة الغائية لسائر قضايا العلم الصحيح والفلسفة المنتجة لأن الدين من أخص معانيه اللغوية كل ما أيقن به الانسان ودان له فأصبح عقيدة ذاتية والدين الاسلامى على الخصوص صديق العلم ونصير الفلسفة إذا كان المقصود بالفلسفة النظر فى الكائنات والتعرف إلى علتها وذلك ظاهر فى قول الله تعالى

« شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » وفي قوله « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ » وفى قوله « يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ »

وكلمة الفلسفة فى أصلها اليونانى تقابل كلمة الحكمة فى مفهومها العربى وما كان للعلم الصحيح أن يعادى الدين أو ينكره أو يحكم له بالوجودية أو العدمية مذ كان الدين ليس من موضوع بحث العلم ولا هو داخل ضمن دائرة نظرياته وما كان للعلم أن يخرج عن وظيفته وهى الاستقراء والملاحظة للظواهر الطبيعية الى حد النفى أو الاثبات لما يجهله من الحقائق اللاهوتية المختبئة وراء المظاهر وهى من موضوعات بحث الدين بل وأخص وظائفه ومفهوم أن البحث عن المهايا أو الأكناه ليس من موضوع العلم ولكن الأمر الذى لاشك فيه أن يكون العلم بداية والدين نهاية

يقول العلامة (أندريه كريسون) مدرس الفلسفة فى جامعة ليون « العلم لا يعطينا عن الوجود فى مجموعه إلا معارف مبهمة للغاية

ويقول الأستاذ (وليم جيمس) « إن علمنا ليس إلا نقطة ولكن جهلنا بحر زاخر والأمر الوحيد الذى يمكن أن يقال بشىء من التأكيد هو أن عالم معارفنا الطبيعية الحالية محاط بعالم أوسع منه من نوع آخر لم يدرك العلم خواصه المكونة له إلى اليوم »

وقال (بيكون) كلمته المشهورة « إن القليل من العلم يؤدى إلى الإلحاد ولكن التبحر فيه يعيد الملحد إلى التدين »

وقال (كونت) « إن العلم لا يؤدى إلى القول بالمادية والالحاد لأنه لاينكر النفس ولا الله ولكن يجهلهما » والأصل فى العلم هو العقل ورائده الحس ، والأصل فى الدين هو الوحى ورائده العقل ، ولا خلاف ولا مباينة

فى نظر العالم المحقق والمتدين المخلص بين الوحى والعقل فالدين يؤكد أن الوحى قد جاء مخاطبا للعقل ويوجب تأويل نصوص الوحى إذا تعارضت مع العقل حتى تطابقه . والعقل يشهد بأن العلم يقصر محيطه عن إدراك سائر الحقائق الغيبية التى جاء بها الوحى ، ثم ان العلم يأمر أهله بأن لا يعادوا ما يجهلون من الحقائق التى ربما تكشف لهم فى المستقبل فيؤمنون بوجودها وذلك هو الشأن أيضا فى عالم الفلسفة وهو عالم المعقولات بل هى بذلك أولى وبه أجدر فلا يقال بعد اليوم ان بين الدين والعلم عداوة توجب المنابذة أو إن العلم ينكر وجود الدين أو ان الدين مناقضا للعقل ولا يقال مثل هذا أيضا عن الفلسفة التى تدعى أن البحث عن الحقائق من أهم شعائرها ومن أسمى مطالبها

وبما أن الوحى يخاطب جميع الناس على اختلاف درجات عقولهم ومداركهم خاصتهم وعامتهم بلسان واحد فإن أسلوبه يحتم عليه مداولة خطابه بين الحقيقة والمجاز والإبانة والتشبيه ، وأما العلم فانه يخاطب أذكياء الناس وكبار العقول فقط فلا يحتاج فى خطابه إلا لتبيين الأشياء على ماهى عليه واضحة دون تورية أو تلميح فإن كان ثمة خلاف بين العلم والدين فهو خلاف فى الأسلوب وفى الأسلوب فقط والقائل بالخلاف بين الدين والعلم يكون قد اصطدم بمجازيات الدين حينما يروم تطبيقها على بدائه العلم وحينئذ يقع الخلاف الوهمى الذى لا يكون إلا فى رأسه هو وفى رأسه فقط لعدم يقظته لوجود الفرق الحاصل بين أسلوب الدين وأسلوب العلم وتكون النتيجة أن الخلاف ليس بين الدين والعلم وإنما هو بين أسلوب وأسلوب . فالدين والعلم لا يتناقضان وإن كانا متغايرين والتحقيق أن لا خلاف بين الوحى فى مصدره والعلم فى أوليات قضاياه لأن الوحى حقائق ذاتية ألقيت فى روع واحد من

البشر امتاز عن غيره بسمو مداركه ورقة إحساسه وباستعداد خاص جعل قلبه متصلا بالملأ الأعلى لتلقى وحى ربه المنزل لإرشاد خلقه

وقضايا العلم ونظرياته حقائق هى الأخرى ألقيت بعد الاستقراء والاستنتاج والتجربة فى روع أناس أدمنوا التفكير والاختبار والتمعن فى وحدات الكائنات ونواميسها وصلة بعضها بالبعض الآخر والبحث فى خواص الأشياء ومنافعها وتسخير قواها الكامنة فيها وقد استنتجوا من كل ذلك قواعد ونظريات علمية تزيد كل يوم بما تنتجه عقول خلفائهم وأعقابهم .

والوحى فى اصطلاح اللغة هو الاعلام من الخفاء فتقول أوحيت إلى فلان كذا أى كلمته بما تخفيه

والوحى فى اصطلاح الدين هو كلام الله المنزل على نبى من أنبيائه بواسطة روح سماوى يسمى جبريل وهو أحد الملائكة المقربين . وهذا الملك قد يتمثل لهم بشرا سويا فيبلغهم كلمات ربهم بأن ينفثها فى روعهم أو يسمعها آذانهم . والعلم جملة معلومات وقواعد ونظريات تركزت وطبقت فأصبحت فروعا وفنونا شتى يجمعها فى عمومها اسم العلم .

ولو بحثنا فى أول قضايا العلم ومبعث نظرياته من قبل أن تؤلف الكتب وتدون المعارف لوجدنا أنها جميعا حقائق أولية ألهمها لفيف من مفكرى النوع الانسانى فأدمنوا التفكير فيها حتى قعدوها قواعد جلية وألفوا فيها الكتب ووضعوا أساليب العلوم وبنوا على هذا الأساس أصول المعارف

وأنت ترى أن مبعث العلم والدين شىء واحد هو الشخصية المعنوية للانسان وماوقر فى صدره من وحى إلهى أو إدراك عقلى وبعبارة طريق الوحى (الدين) أو طريق العقل (الفلسفة والعلم) فالدين فى أصله موهوب بالوحى

والعلم فى وضعه مكسوب بالعقل بمعنى أنه إذا كان الوحى أصلا فى الدين فالعقل أو الإلهام البدائى هو الأصل الأولى للعلم وتكون النتيجة لا ثمة من فرق إلا فى الأسلوب بين دين موحى به يخاطب العقل أو معلوم ملهم يكون نتيجة لاستقراء العقل وخبرته للكائنات الخارجية المنبثة حوله ويكون الكل من عند الله بغض النظر عن الفرق فى الدرجة بين الوحى والإدراك العقلى أو بين العلم والدين .

وليس فى العقيدة بالوحى ماينافى العلم خصوصا فى هـــذا العصر الذى كثرت فيه المباحث النفسية فى أنحاء العالم شرقا وغربا . وقد أثبتت العلوم النفسية الحديثة أن فى الوجود كائنات حية غير الإنسان مجردة عن المادة لها عقل أرقى من عقلنا ومدارك أسمى من مداركنا وأن هذه الأرواح قد تتصل بنا إما بأن تتجسد فتظهر لأعيننا فتكلمنا وتصافحنا أو تستولى على أيدى بعض الحاضرين وألسنتهم فتكلمنا وتكتب لنا بهذه الواسطة ماتريد أن تقوله وإما أن تنفث ماتريد من القول فى روع أحد الوسطاء فيتم لها ماتريد . وقد قرر فريق من العلماء أن هذه القوى الخفية هى أرواح الموتى وحكم فريق آخر بأنها كائنات مجردة عن المادة موجودة فى الكون لاتدركها حواسنا قادرة على التجسد ومخاطبة الناس فى بعض الأحوال وهى ما اصطلحت لغة الدين على تسمية فريق منها بالملائكة وفريق آخر بالجن أو الشياطين

وكيف ينكر عاقل هذه الحقائق فى عصرنا وقد قررها ألوف بل ملايين من العلماء المعاصرين فى انجلترا وأمريكا وألمانيا وفرنسا وغيرها حتى عمت الشرق والغرب جميعاً وبعد أن أدمج علم النفس وعلم التنويم واستحضار الأرواح فى دائرة العلم الرسمى

وليست مسألة الوحى بزائدة فى الغرابة عما نقرأه كل يوم فى كبريات

الصحف الأوربية من جلسات استحضار الأرواح والتنويم المغناطيسى وقراءة الأفكار التى تتم على أيدى كبار العلماء بمرأى ومسمع من فحول المجربين من سدنة هياكل العلم الطبيعى وإن كان الوحى أسمى من كل هذه الوسائل الروحية .

والدين الذى يأتى به الوحى ينقسم بطبيعة أسلوبه وقواعده إلى ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : مسألة الاعتقاد بوجود إله قادر خلق الكائنات ووضع قوانينها ورتب نظامها لاتغيب عن علمه وإحاطته صغيرة ولا كبيرة فى الأرض ولافى السماء وهو على كل شىء قدير ، وكذلك الاعتقاد بوجود عالم أسمى من هذا العالم الأرضى تحيى فيه أرواحنا حياة أبدية وفيه تجازى النفوس على ما كسبت من الخير والشر فى حياتها على الأرض ثم الاعتقاد فوق ذلك بوجود أرواح مجردة عن المادة تسمى الملائكة هم الصلة بين العالم العلوى والعالم الأرضى وأخرى تسمى الشياطين أو الجن ، وبأن لله رسلا من البشر اصطفاهم ورفع عنهم حجاب الحس فى أكثر الأحيان لتتم المناسبة بينهم وبين الملائكة فيتلقون عن أولئك رسالات ربهم بقصد تبليغنا إياها

المسألة الثانية : مسألة قوانين الاجتماع وآداب التعامل

والثالثة : مسألة العبادة التى هى بمثابة الشكر لذلك الخالق العظيم والمدبر الحكيم على ما أسدى من نعمة ظاهرة وباطنة ، فتكون كل قضايا الدين — العقيدة ، والمعاملة ، والعبادة — كتشريع موحى من الله إلى بعض أصفيائه من عباده .

وسنبين فيما يأتى رأى العلم والعلماء وحكم العقل وشهادة الواقع فى تلك القضايا غير مستندين فى حجتنا إلا على منطق العلم الحديث لكى لاينخدع

النـاس بزخارف أقوال قوم من الأغرار والاباحيين لاترتاح نفوسهم إلا بهدم أصول الأخلاق وزعزعة دعائم العقائد الدينية زاعمين أن العلم ارتأى أن الدين لايتفق والعلم فى شىء والواقع أن العلم يسير نحو الدين بخطى سريعة وخصوصا إذا كشف له عن بعض الأغوار الغيبية المحجبـة المستعصية على أسلوبه ووسائله

وجوب الاعتقاد بالخالق

والآن نبدأ كلامنا عن العقيدة بالخالق الذى كون الكائنات ودعم نظامها مؤيدين كلامنا برأى العلم الحديث وأقوال الفحول من علماء الفلك والـكيمياء والطبيعة فى الغرب فنقول :

إن من نظر ـ وقد خلصت بصيرته من الجمود العلمى وأغاليط الحواس ـ لنظام الأفلاك وترتيب الـكواكب الثابتة والمتحركة وهى تنبعث فى مداراتها المحـكمة من مبادئها إلى غاياتها وفـكر فى التجاذب المتبادل بينها والحافظ لهـا والذى يقودها بنظام دقيق يخبر عن قصد حكيم وتدبير رشـيد يهدف إلى أغراض بعيدة ومقاصد سامية فى عمارية الـكون وتنظيمه وإمداده بالقوى المختلفة لتحريكه وبقائه وتزويده بسـائر منافعه ، ثم أرجع البصر إلى العالم الأرضى وتأمل فى مواليده وأجناسه وأنواعه فرأى الجماد وطبقاته والحيوان وفصائله والإنسان وعقله وإرادته واختياره وحسن تدبيره ثم أنعم النظر فيما حوله من القوى الباهرة كالـكهرباء والمغنطيس والضوء والحرارة وسائر القوانين والنظم التى تسيطر على الطبيعة وتقودها إلى الرقى والـكمال .

نقول إن من رأى كل ذلك وفـكر فيه بعقل يطلب الحق الصراح وبصيرة خالصة من الزيغ والهوى تبين له بعين اليقين والتبصر الجديرين بالإنسان

أن كل ما أظلت السماء وأقلت الأرض خاضع لقوانين ثابتة متضامنة تحوطها الألفة والوحدة دالة بذلك على أنها صادرة عن قوة خفية وإدراك عظيم لذات منزهة هى علتها ومصدر وجودها . وفى سبيل البحث عن أصل تلك العلة تحيرت عقول سائر البشر .

فقال قوم لايعقلون إنها نفس الطبيعة فيكون الكون فى رأيهم هو المكون والفعل هو الفاعل والصنعة هى الصانع .

وقال قوم لايعلمون إن العلة هى النواميس التى تقودها فيكون القانون فى نظرهم هو القانون وهو المقنن فى وقت واحد ويكون النظام هو نفس المنظم والحركة هى المحرك الأول .

وقال قوم لايفقهون إنها المادة فتكون المادة الميتة والهيولى المتحولة التى هى مقر الكون والفساد والتلاشى والانحلال هى نفسها — على زعمهم — العلة التى كونت عالمنا ونظمته ورسمت قوانينه ثم بعثته إلى الكمال فتكون المادة هى العلة وهى المعـــلول أو السبب والمسبب على أن المادة فى عصرنا الحاضر وعلى ضوء العلم الحديث ليست أكثر من كم من الطاقة الذرية يوجد ويتحول ويتلاشى بما تنتجه الطاقة الأصلية وبعبارة أخرى الجواهر الفردة واختلاف سرعة كهاربها حول نواتها وتعدد تلك الكهارب قلة وكثرة على أن الكون الذى نعيش فيه فى نظامه البديع وحوادثه المحكمة المبادىء والغايات يحتاج لامحالة إلى تدبير ذات عليا مدركة تدرك ماتصنع وتسيطر على نظام ماتبدع . والمادة كم ميت لايدرك ولا يعى توجده القوة بطاقتها ثم يتلاشى بتلك الطاقة مرة أخرى .

وقال آخرون إن العلة فى الوجود هى الضرورة وقال غيرهم إنها الصدفه وما علمنا وأبيك ولا علم العلم وجود شىء فى الكائنات اسمه الضرورة

أو الصدفة ولا ثمة إلا النظام والمنظم ومن العجيب المدهش أن تلق تلك الآراء بعض الرواج فى مثل عصرنا الحاضر عصر الذرة والطاقة والاشعاع والمعادلات الرياضية (أى العقلية البحتة) . ثم يعود كل أولئك المعللون لوجود الكائنات بالمادة أو بالصدفة أو بالضرورة ويناقضون نصوص مذاهبهم ونتائج مقدماتهم فيقولون مضطرين بمنطق العلم ان لابد لكل معلول من علة ولكل حركة من محرك ولابد لكل حادث من سبب فينقضون آراء أنفسهم بأنفسهم وكفى الله المؤمنين القتال .

ونحن لانجد فى الرد على أمثال هؤلاء أحسن من إيراد أقوال بعض أكابر علماء الكيمياء والطبيعة والفلك الذين هم أساطين العلم الحديث وأولو الشأن فيه لئلا يخال لمقلديهم فى آرائهم من أبنائنا المحدثين أن الذى حفزنا إلى توهين هذه الأفكار الواهية بل السخافات الجنونية هو التعصب للدين أو الجمود على القديم وليؤخذ القول عن أهـــله ويستمد حكم العلم من القائمين به .

يقول العلامة (جول سيمون) العضو بالمجمع العلمى الفرنسى تسفيها لرأى القائلين بأن العالم هو علة نفسه :

(وجود العالم بغير علة أمر غير معقول ومثله وجود جبل أو شجرة أو عود من العشب بل حبة من الرمل أو ارتفاع هذا العود وامتداده قليلا أو كثيرا بغير علة غير معقول أيضا . فضروره العلة تتوقف على خطر المعلول حتى ان سقوط ورقة شجرة بغير علة كنجوم غابة بأكملها من بطن الأرض كلا الأمرين على السواء معجزة تحتاج إلى علة مدبرة) .

ويقول العلامة الفلكى (هرشل) الانكليزى المشهور فى إثبات عدم نكران العلم الحقيقى لوجود مدبر الكائنات :

(كلما اتسع نطاق العلم ازدادت البراهين الدامغة القوية على وجود خالق أزلى لاحد لقدرته ولا نهاية . فالجيولوجيون ، والرياضيون والطبيعيون والفلكيون قد تعاونوا وتضامنوا على تشييد صرح العلم الذى هو فى الحقيقة صرح عظمة الله وحده) .

وقال (ألفرد روسل ولاس) فى الرد على تبجح القائلين بأن الطبيعة أوجدت نفسها :

(إن الطبيعيين الماديين يتجاهلون القوة المدبرة الخفية التى تمكن الخلية الحية بفضل تأثيرها من الدور فى سلسلة من التحولات يستحيل إيضاحها بأية طريقة كيميائية أو ميكانيكية) .

قلنا إن قوما من الذين أزاغت الشهوات بصائرهم يرون أن لاحاجة فى خلق الكائنات ونشوئها لإله يبرؤها ويرعاها ويدبر شئونها مادامت الخليقة تسير على نظم مقدرة ونواميس مقررة وما دامت للمادة علل من القوة والحركة ترجع فى التطور والنشوء اليها . وكبر عليهم أن يقولوا الواقع الذى يقبله العقل ويؤيده العلم من أن المادة وحركتها ليستا إلا مظهرين من مظاهر قدرة الخالق التى لاتحد والتى تعالت أسرارها عن أن تدركها أفهامهم المريضة وهم يهربون من قول الحق قصدا لأنهم لو قالوا بوجود إله خلق الكائنات ونظمها ووضع قوانينها لالتزموا مع ذلك بأن يقولوا بخلود النفس ويؤمنوا بالآخرة والحساب ودينونة الثواب والعقاب والقوم يريدونها فوضى فى الأخلاق والدين بلا محاسب ولا رقيب ويريدون فوق كل ذلك أن يمثل بالفضائل الإنسانية عارية مهانة لايسترها ثوب من التقى ولا شعار من العفاف لترقص رقصة الموت أمام أعينهم وليفخروا بأنهم هم حافرو قبرها وخامدو أنفاسها ثم يخلو جو العالم بعد ذلك لأنانيتهم وشهوات نفوسهم متوسلين إلى

غرضهم هذا برأى عاثر من التفلسف وبرهان مفلول من قشور العلم .

وقلنا إن العلم الصحيح برىء من زيغهم وإلحادهم وقد سردنا أقوال بعض أعلام العلماء الأوربيين الدالة على ذلك .

وإنا والله لانتصور أن قلبا إنسانيا مهما انحط شعوره وجمد إدراكه يجعل من العلم شاهد زور لأهوائه ومن الفلسفة وسيط سوء لشهواته ثم يقوم فى وجه عظمة الخالق وأمانة العلم مقام الطفل يبرر خطأه أمام معلمه خيفة العقاب مؤملا أن يكون صواب العلم مطابقا لما وقع هو فيه من الخطأ ، أو مقام الرجل الأحمق أمام شاشة السينما متوهما أن الأخيلة التى تتراءى له عليها إنما تتحرك من ذوات نفسها بلا مقدر لتلك الحركات ولا مدبر .

وإليك أيضا من اعتراف العلم واقرار العلماء باستحالة وجود كون بلا مكون مايكفى أقله فى تجهيل أولئك الأغرار وتسفية أحلامهم .

قال العلامة الفيلسوف الانكليزى عمدة الطبيعيين (با كون) (إن الحقائق الدينية قد تظهر لنا باطلة ولكن ذلك لضعف معارفنا) .

وقال العلامة (طمسون) الطبيعى الأمريكى المشهور (كلما تقدمنا فى العلم زاد شعورنا بقدرة الخالق وعظيم أعماله) وقال (هربرت سبنسر) (نرى من بين كل هذه الأسرار التى تزداد غموضا كلما زاد بحثنا فيها ، حقيقة واضحة لابد منها وهى أنه يوجد فوق الإنسان قوة أزلية أبدية ينشأ عنها كل شىء) .

وقال الأستاذ (لينيه) (إن الله الأزلى ، العالم بكل شىء والمقتدر على كل شىء قد تجلى لى ببدائع صنائعه حتى صرت مندهشا مبهوتا فأى قدرة وأى حكمة وأى إبداع أودعه ذلك الإله فى مصنوعات يده سواء فى أصغر الأشياء أو أكبرها !! إن المنافع التى نستمدها من هذه الكائنات تشهد بعظم رحمة الله الذى سخرها لنا ، كما أن جمالها وتناسبها ينبىء بواسع حكمته ،

وحفظها عن التلاشى وتجددها يقر بجلالته وعظمته)

وإليك شهادة عالم بتأثير العلم الصحيح على نفوس العلماء الحقيقيين المتبحرين فيه وهم يقولون بعكس أقوال أدعياء العلم ومقلديهم من الملحدين والإباحيين .

يقول الأستاذ العلامة (فونتنل) فى دائرة معارفه (إن أهمية العلوم الطبيعية لاتنحصر فى إشباع نهمة عقولنا ولكن أهميتها الكبرى هى رفع عقولنا إلى خالق الكون وتحليتنا بإحساس الإعجاب والإجلال الواجبين لذاته المقدسة) .

وقال الطبيعى الانجليزى الأستاذ (ميلين ادوارد) (يجب أن يندهش الإنسان حينما يرى أمام هذه المشاهدات الناطقة المتكررة الدالة على حكمة المبدع ، رجالا يدعون لك أن كل هذه العجائب الكونية ليست إلا نتائج الصدفة أو بعبارة أخرى نتائج الخواص العامة للمادة وأثر لتلك الطبيعة التى تكون مادة الخشب والأحجار . وأن إلهامات النمل مثل أسمى مدركات القوة المدركة الانسانية ليست إلا نتيجة عمل القوة الطبيعية أو الكيماوية . إن هذه الفروض الباطلة أو بالأحرى هذه الأضاليل العقلية التى يسترونها باسم العلم الحسى قد دحضها العلم الصحيح دحضا فان الطبيعى المحقق لايستطيع أن يعتقدها أبدا ، وإذا أطل الانسان على وكر من أوكار بعض الحشرات الضعيفة سمع بغاية الجلاء والوضوح صوت العناية الإلهية ترشد مخلوقاتها إلى أصول أعمالها اليومية)

وإليك أيضا شيئاً من الأدب العلمى الذى يفيضه العلم الصحيح على نفوس العلماء والمحققين فتجيش به صدورهم وتلهج ألسنتهم معترفين بالعجز حيال سر الكون وعظمة المكون قال الأستاذ (سابتييه) العالم الطبيعى المشهور

(إن العلماء أول المعترفين فى كل فرع من فروع العلم بأنهم لم يدركوا منه إلا جزءاً محدودا وأن أكثرهم تواضعاً هم أكثرهم علمـا على أنهم يعترفون بأن ماحصلوا عليه للآن ليس إلا عدما بالنسبة لما يجهلونه)

فهذا رأى العلم وأقوال العلمـــاء فمن أين ياترى جاءنا شباننا الملحدون بأفكارهم السخيفة التى يريدون أن يزعزعوا بواسطتها عقائد الضعفاء من اخوانهم ويقتحموا سياج الفضائل نافذين إلى نفوسهم الغضة ليخرجوا بها إلى حومة الرذائل والنقائص بغير علم صحيح أو دليل مبين

هذا ولنكتفى الآن بقول الأستاذ العلامة (كاميل فلامريون) الفلكى الفرنسى المشهور مندداً بادعاءات أساتذة شباننا المتحذلقين الذين نقلوا عنهم ذلك الإلحاد ولك أن تقول ذلك الهوس الحديث موهمين البسطاء أن هذا هو ماقرره العلم المحدث وأنتجته الفلسفة المجددة والعلم والفلسفة معاً بريئان منه وهو إلى الخرف والهوس أميل

يقول العلامة الآنف الذكر (إن هذه الادعاءات ليست أمام النظر العلمى إلا هباء منثورا. إن نيوتن كان يقول: يظهر لى كذا وديكارت كان يقول: إنى أستنزل حكمكم فى هذا الفرض ولكن هؤلاء الشبان القليلى الخبرة يقولون: العلم أثبت كذا ونفى كذا وقرر كذا مع أنه ليس فيما يقولون ظل من البرهان العلمى، انكم تتجاسرون فى أن تعزوا للعلم هذا العبء الثقيل. ولئن سمعكم العلم فقد حق له أن يضحك استهزاء منكم)

وصدق الله العظيم حيث يقول فى القرآن كتابه المجيد

« شَهِدَ اللّٰهُ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »

ونتيجة القول والحق اليقين فى هذه المسألة العظمى هى: أن الدين فى

إطلاقه أول العلم وآخره فهو أول العلم من حيث أنه أول آمر بالنظر فى الكائنات ومنبه على فضل العلم والعقل ومبين لشرفهما ورفعة أهلهما وبالأخص الدين الإسلامى الحنيف الذى يقرر أن لا إله إلا الله وأن كل ماظهر من خلق وإبداع فى الملك أو فى الملكوت إنما كان بفعل الله ونتيجة لإرادته ومشيئته فما شاء كان ومالم يشأ لايكون له الخلق وله الأمر ولا شريك له فى الملك وأن الرسل والأنبياء محمدا وعيسى وموسى وابراهيم ونوحا وغيرهم من الأنبياء عليهم جميعا صلوات الله وسلامه إلى آدم كلهم فى نظر الإسلام مندوبو الله ومختاروه وأمناؤه على رسالاته فضلهم على خلقه وكلفهم بحمل وحيه وكلامه إلى أهل الخير والتقى من عباده ، وقد حث على طلب العلم وفضل الذين يعلمون على الذين لايعلمون وجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة - إلا ما دعا إلى إلحاد أو شرك - ورفع من شرف العقل وامتدح أولى الألباب والمتفكرين والمتوسمين فى مواضع كثيرة من كتابه (القرآن) ورفع منار الحرية ثم نادى صريحا بأن لافضل لأحد على أحد إلا بالتقوى (وهى خشية الله وحبه)

وفى عرف الاسلام أن أوليات العلوم والمعارف إنما جاءت على ألسن الرسل وكذلك أوليات اللغات وأسماء أفراد الموجودات ويحدثنا بأن أنفع الحكم المنورة للعقول مستمدة من أحاديث الأنبياء وكلامهم وما أوحى إليهم من عند ربهم والدين كذلك آخر العلم من حيث أنه النتيجة الغائية المنشودة لكل عالم نبيل أو فيلسوف محقق تصفح أعيان الكائنات بنزاهة وإخلاص طلبا للحق فى ذاته فأرشد إلى عللها ومصادرها ومصيرها وتوحدت فى نظره القوة الخالقة والعظمة المدبرة التى تسوس مخلوقاتها وتكلؤها وتعمل على إسعادها [1] وكل

---

(١) ومن ثمة ينطلق لسانه مندفعا بوعى او بغير وعى بقوله : لا إله إلا الله معبرا عن الحقيقة التى تنطق بأفعالها ناعتة نفسها

قول يناقض هذا فهو أشبه بالجهل منه بالعلم وأقرب إلى الباطل منه إلى الحق وسفسطة كاذبة لنفوس ضالة مضللة

وإذا كان غرض العلم الصحيح إصلاح الحياة وتضامن أهل الانسانية على العمل النافع وإسعادهم وهو مالا نشك فيه فهو مقرب للدين الحق وباعث عليه ، وحينئذ لايكون ثمة خلاف بين الدين والعلم ، اللهم إلا فى أسبقية الدين للعلم فى هداية أفراد الخليقة إلى ماينفعهم ويوجب لهم السلامة ويدفع عنهم مايضرهم

« كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا »

يقول الله سبحانه وتعالى مخاطبا نبيه ورسوله محمدا (صلعم)

« إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ » « وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ » « وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ (أى يا محمد) مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ » وقال تعالى « إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا » « رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا » وقال « وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ

قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ »

وأما إذا كان غرض العلم المزعوم جحود الحق والالحاد بالخالق وإفساد النفوس وتضليل الأفكار وتقسية القلوب وتخليتها من عوامل الشفقة والرحمة وحب الخير فهذا العلم حقا لا يتفق والدين فى طريق لأنه لا يكون حينئذ علما صحيحا وإذا لم يكن علما صحيحا فهو باطل وبعبارة أخرى يكون جهلا مركبا والجهل والباطل لا يماشيان الحق فى سبيل كما تقدم يقول الله تعالى فى القرآن (وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ) (وإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ)

واذن فليعلم الناس من أهل العلم الحديث والقديم وغيرهم ان الغرض الأول للدين هو الاعتقاد بالخالق وهذه حقيقة من ضيعها فقد حكم على عقله بالعقم وعلى نفسه بالشرود عن بدائه الحقائق

والغرض الثانى حماية الاجتماع وصيانة المخلوقات عما يضرها أو يبيدها وهذا مايدعيه العلم ويدعم عليه شرفه فان تقول متقول على العلم بما يناقض ذلك فهو عدو لدود للعلم وهادم لوظيفته ومحطم لأثمن درة فى تاجه

والغرض الثالث للدين التعرف إلى الخالق وشكره وعبادته وحبه وهذا أدب لو تجرد منه العلم لأصبح عاطلا من أفضل حلية تزينه وتكسبه الجلال والهيبة فى أعين الجهال والمتعلمين ولو أهمل العالم التعرف إلى خالق الكائنات وتعظيمه وشكره على نعمة المعرفة لحكم علمه عليه بالجهل وعلى تفكيره بالقصور وعلى عقله بالعقم وإليك معيار من القرآن تختبر به اتجاه العلم الصحيح من اتجاه العلم الفاسد فمثلا يقول الله تعالى :

(إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ والْمُنْكَرِ والْبَغْىِ).

أفهل ترى أن العلم الصحيح يمكن أن ينكر ذلك أم أنه يأمر به ؟ فاذا كان يأمر به فلاخلاف فى مثل هذه الفضائل الاجتماعية إلا فى نظر عدو الدين والعلم معاً وإن كان لاينكره فأظنك معى فى تسمية ذلك العلم جهلا كما قدمنا .

ويقول الله تعالى :

(إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَي أَهْلِهَا)

أفترى أن العلم الصحيح يعترض على ذلك ؟ ويقول الله سبحانه وتعالى :

(يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) ويقول (وَلاَ تُفْسِدُوا فِى الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا)

أفهل يعترض العلم الصحيح على هذا أيضا ؟ والجواب الحقيق إن العلم الصحيح لايناقض قط أى قول نافع أو أى رأى نافع أو أى عمل نافع وإذا كان الأمر كذلك فأى فرق جوهرى بين العلم والدين وبعبارة عكسية : أى تناقض بين العلم الصحيح والدين الصحيح ؟ فإن قيل إن ماذكرتم من هذه المقاييس والمعايير إنما هى أمور خلقية ولاعلاقة بينها وبين العلم الحديث .

أقول إذا اعترض معترض بمثل هذا فكأنما يريد أن يكون العلم مجرد صناعة تحليل وتركيب فقط وهذا وإن كان بعض العلم فإنه ليس هو العلم فى عمومه بل هو الجزء الأدنى من العلم وإنما الجزء الأعلى والأكبر والأهم منه هو أهداف العلم فى مجموعه ومايرمى إليه من خير ونفع للانسانية سيما وأن

الأخلاق والسلوك الشخصى والنفع العام للهيئة الاجتماعية كل هذه الأمور يجب أن تكون من المقاصد العليا للعلم وكذلك التعرف إلى مبدع الكائنات . والذى يريد تجريد العلم من ذلك فهو كائن لايعلم أنه لايعلم ثم إنه يريد حصر العلم فى دائرة علمه هو الضيق أو على الأقل فى دائرة جهله الواسع وإليك نموذج من اتفاق العلم الصحيح والدين الصحيح فى باب العبادات (ولاتعجب) : فمثلا ان كل ماحرم شرعا حرم علما وعقلا - كالزنا واللواط والسرقة والخمر والقتل وغير ذلك - وكل نجس فى نظر الدين فهو قذر وبىء فى نظر العلم كالفضلات وثؤر الكلب والماء الراكد الذى تحل فيه الميكروبات بالضرورة أو الملوث بغيره ونحو ذلك ، فإذا سألت الدين عن مثل هذه الأشياء قال لك إنها نجسة وإذا سألت العقل استقذرها وإذا سألت العلم كشف لك عن جراثيم (ميكروبات) الأمراض التى تحتوى عليها

والعلم مثلا يحضنا على ترييض الجسد وتنظيفه وخصوصا الفتحات التى تتصل بالجو كالأنف والأذن والعين لإزالة ماقد يعلق بها من مسببات الأمراض .

والدين الإسلامى يأمر الإنسان بالتطهير والنظافة غسلا ووضوءا واستنجاء وفى ذلك من أسباب الصحة وحسن نمو البنية مالايخفى على كل عالم يقدر قيمة علمه ، والدين يأمر بالصلاة وفى ذلك من رياضة الجسم والنفس معاً مالايحتاج إلى شرح . والعلم يوجب الحمية وتنظيف المعدة للمحافظة على الصحة أو عند طروء المرض والدين يأمر بالصوم وفى الصوم من الحكم العلمية مايعجز عن حصره الطب نفسه فاذا أضيف الى الصوم وهو الحمية فى علم الطب الإكثار من غسل الأعضاء بالماء وهو مايأمر به الدين الإسلامى خرجنا بالركنين الأساسيين (الحمية والتطهير) الذين تهدف اليهما أهم نظريات

العلوم الطبية والصحية الحديثة فى عصرنا الحاضر وبالأخص العلم الطبى القائل بالعلاج الطبيعى ثم ان العلم يهدف إلى الرحمة بالفقراء والزمنى والمرضى واغاثة المساكين والدين الإسلامى يأمر بالزكاة والصدقة ويجعل الإحسان للغير أمراً مقدساً ونصيبا مفروضا للفقير فى مال الغنى

والعلم يقول بالسياحة وتكوين النقابات والجماعات والمؤتمرات والدين الإسلامى أوجب ذلك بالجمعة والحج لأن الغرض من تشريع الجمعة اجتماع أهل كل حى فى مسجد جامع يكون لهم بمثابة عيد أسبوعى واجتماع عام يجلس فيه الأمير إلى جانب الحقير والغنى ملاصقا للفقير وكذلك الأحد للمسيحى والسبت للاسرائيلى

والغرض من تشريع الحج السياحة لحفظ الصحة وزيادة المعرفة ولكى يكون الحج فضلا عما فيه من العبادة مؤتمراً عاما شاملا لأكثر المسلمين فى جميع أنحاء العالم ليتعارفوا ويتذاكروا فى شئونهم العامة والخاصة وليؤدوا شعائر دينهم مهللين مكبرين ويعودوا إلى أوطانهم اخوانا . والحج موجود فى الديانات المنزلة الثلاث

والمراد بالعلم هنا العلم فى عمومه الشامل لجميع الفروع العلمية . وهكذا يكون ضمنه علم الأخلاق وعلم التربية وعلم السياسة وعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم الصحة والطب والطبيعة والكيمياء الخ وكلها داخلة تحت اسم العلم الذى ندعى أنه غير مناقض للدين وأنه يتفق معه فى الغايات والمقاصد إذا كان علماً بمعنى الكلمة

وفى الدين من مثل هذه الحكم الكثيرة التى لاتفند عن الأغراض الحقيقية للعلم الشىء الكثير فإن ادعى مدع أن العلم الحديث يدعو إلى الإلحاد قلنا له لعل ذلك يكون من شيطان العلم لامن العلم نفسه ولاتستبعد

أن يكون للعلم شيطانه كما للدين شيطانه أيضاً ونحن نعيذ الدين والعلم معاً من الشيطان الرجيم ومن ترهات المفترين المضللين

وأفضل مايقال فى هذا الباب قول الله سبحانه وتعالى فى كتابه وهو خير القائلين وأحكم الحاكمين

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا » « يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا »

الله موجود

كان للسلف الصالح طرق لطيفة فى اقناع المنكرين لوجود الله نأتى هنا ببعضها تتميما للفائدة ودلالة على ما كان لهم من القوة فى الاقناع :

يروى أن بعض الزنادقة انكر الصانع عند جعفر الصادق رضى الله عنه فقال جعفر : هل ركبت البحر ؟ قال نعم . قال : هل رأيت أهواله ؟ قال بلى ! هاجت يوما رياح هائلة فكسرت السفن وأغرقت الملاحين ، فتعلقت أنا ببعض ألواحها ثم ذهب عنى ذلك اللوح فاذا أنا مدفوع بتلاطم الأمواج حتى دفعت إلى الساحل .

فقال جعفر : قد كان اعتمادك من قبل على السفينة والملاح ثم على اللوح حتى ينجيك ، فلما ذهبت هذه الأشياء عنك هل أسلمت نفسك للهلاك ؟ أم كنت ترجو السلامة بعد ؟ قال : بل رجوت السلامة . قال جعفر : ممن كنت ترجوها ؟ فسكت الرجل . فقال جعفر : ان الصانع هو الذى كنت

ترجوه فى ذلك الوقت وهو الذى أنجاك من الغرق . فأسلم الرجل .

وجاء فى كتاب (ديانات العرب) ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمران ابن حصين : كم لك من إله ؟ قال : عشرة . قال : فمن لغمك وكربك ورفع الأمر العظيم إذا نزل بك من جملتهم ؟ قال : الله . قال عليه الصلاة والسلام ما لك من إله غير الله .

وكان أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه سيفا على الدهرية ، وكانوا يتحينون به الفرص ليقتلوه ، فبينما هو فى مسجد قاعدا إذ هجم عليه جماعة بسيوف مسلولة وهموا بقتله فقال لهم : أجيبونى عن مسألة ثم افعلوا ماشئتم . فقالوا له هات . فقال : ماتقولون فى رجل يقول لكم إنى رأيت سفينة مشحونة بأحمال مملوءة بالأثقال قد احتوشتها فى لجة البحر أمواج متلاطمة ورياح مختلفة ، وهى من بينها تجرى مستوية ليس لها ملاح يجريها ولا متعهد يدفعها ، هل يجوز ذلك فى العقل ؟ قالوا : هذا شىء لا يقبله العقل . فقال أبو حنيفة : ياسبحان الله ! إذا لم يجز فى شرعة العقل سفينة تجرى فى البحر مستوية من غير متعهد ولا مجر فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها وتغير أعمالها وسعة أطرافها وتباين أكنافها من غير صانع وحافظ ؟! فبهتوا جميعا وقالوا : صدقت ثم أغمدوا سيوفهم وانصرفوا تائبين .

وسأل بعض الزنادقة الشافعى رضى الله عنه قائلين ما الدليل على وجود الصانع ؟ فقال ورقة التوت هل طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد عندكم ؟ قالوا : نعم قال فتأكلها دودة القز فيخرج منها الإبريسم والنحل فيخرج منها العسل والشاة فتربى اللحم وتخرج اللبن وتأكلها الظباء فتغذيها وينعقد فى نوافجها المسك أو ليس هذا كذلك؟ قالوا نعم قال فمن الذى جعل هذه الأشياء متنوعة الافرازات والغذاء واحد ؟ فاستحسنوا منه ذلك وآمنوا !

ومثل الإمام احمد بن حنبل رضى الله عنه كيفية الخلق بقلعة حصينة ملساء لافرجة فيها ظاهرها كالفضة المذابة وباطنها كالذهب الابريز ثم انشقت الجدران وخرج من القلعة حيوان سميع بصير فلا بد من الفاعل! وعنى بالقلعة البيضة وبالحيوان الفرخ وبالفضة البياض وبالذهب الصفار وقال لهم: اسمعوا وانظروا عمل الصانع بالصفار والبياض !

وسأل هارون الرشيد الإمام مالكا رضى الله عنه عن ذلك فاستدل باختلاف الأصوات وتردد النغمات وتفاوت اللغات واختلاف الحيوانات

وسئل أبو نواس عن وجود الله فقال :

تأمل فى نبات الأرض وانظر   إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات   بأحداق كأنها الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات   بأن الله ليس له شريك

وسئل اعرابى عن الدليل فقال . البعرة تدل على البعير وآثار الأقدام تدل على المسير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج أما تدل على الصانع الحكيم والقدير العليم الحليم ؟

وسئل طبيب بما عرفت ربك ؟ قال بالخالق السوى والداء الدوى والموت المردى وبدلائل الصحة والمرض فإن للصحة علامات وللسقم أعراض وبأن فى الجسم مناعة أوجدها الخالق تساعد فى التطبيب وتدنى الشفاء من قريب ، وعرفته بدواء مجفف أطلق وبلعاب ملين أمسك (ومراده البطن) وبذى علامات للصحة مات وذى علامات للموت شفى والطبيب لايدرى وكل هذا التدبير يدل على وجود اللطيف الخبير .

هذه البراهين كلها مندمجة فى قوله تعالى : « وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ » وقوله

« فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ »

الاسلام والتـدين

الإسلام مجموعة عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق تكفل لأهلها ولكل من عمل بها تنظيم شئون الحياة وتضمن لهم سعادة الآخرة بعد الممات وهى مع ذلك كشريعة عامة ليست مقصورة على أمة دون أمة ولا مقيدة بزمان ولا مكانٍ ولذلك يخاطب الله سبحانه وتعالى الأمة الإسلامية بقوله:

« وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا »

تلك الشريعة العامة المؤسسة على كتاب الله وسنة رسوله وصوالح المجتمع هى نفسها الشريعة التى أنزلت مع آدم ودعا إليها نوح وجاهد لإظهارها ابراهيم وعمل بها موسى وعاش عليها عيسى عليهم السلام وأكملها محمد (صلعم) قال سبحانه وتعالى

« شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ »

وتلك الشريعة المحمدية هى أيضا المثل الأعلى فى هذا العصر وفى كل عصر لسائر النظم الفاضلة والمدنيات الصحيحة وبصرف النظر عن تقصير بعض القائمين بها فى كمال تطبيقها وعدم رعاية حقها فتلك سنة البشر إن طال عليهم الأمد ومن خصائص الشريعة القرآنية المحمدية أنه كلما تقدم العلم فسر نصوصها ودل على سعة أفقها وصلاحيتها لكل زمان ومكان وكلما ترقت الفلسفة الروحية جنحت بمقتضى روحيتها إليها حتى يأتى اليوم الذى تضمها فيه إلى أحضانها ، وتؤاخى

بين الدين والعلم والفلسفة مؤاخاة صحيحة أمام هيكلها الكامل ، قال العلامة الانكليزى (جونسون) (اننا نرى اخواننا المسلمين مولعين بالوقوف على عاداتنا وأحوالنا ويسعون فى تقليدنا ولكننا نحن الذين يجب علينا أن نأخذ عنهم ونتعلم منهم فهم أصحاب التعاليم الحكيمة وهم المقدمون علينا فى الهداية وهم أصحاب علم الإلهيات وعلم التشريع فى العالم المتمدين بأسره وإن لهم الصنيع الجميل على تقدم المدنية الغربية ومن الواجب على أهل المملكة الانجليزية أن يحتزوا آثارهم ويسعوا فى دفع الأباطيل المنتشرة بين عامتنا عن دينهم وعاداتهم منذ القرن الرابع عشر وأن يراعوا احترام شريعتهم وكتبهم المقدسة ولو أننا تبصرنا من قبل فى أحوالهم وشرائعهم بإخلاص لما وجد بيننا محل للنزاع فى فضائلهم وآدابهم وسمو تشريعهم) وقال (جوتيه) أكبر شعراء الألمان لما اطلع على مزايا الاسلام (إن كان هذا هو الاسلام أفلا نكون جميعا عائشين فيه) وما ذلك إلا لأن الاسلام هو الدين الفطرى الذى يخاطب القلوب مباشرة ويناسب العقول القوية ويتفق والحق فى كل طريق ويأخذ على الفطر السليمة والألباب الراجحة كل سبيل ولذا يقول الله تعالى

« فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذٰلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ »

والإسلام وإن كان دينا روحانيا بمعنى انه شفاء للقلوب من داء الشك والشرك ونور للنفوس الظامئة التى تنشد الحقيقة المطلقة وصلة مزدوجة بين الروح وخالقها فهو من جهة أخرى دين اجتماعى وتشريع مدنى لاتتصور العقول ضريعا له فى وضوح مبادئه وسمو مقاصده .

جاء ذلك الدين خصيصا لترقية الإنسانية وتهذيبها وإحكام سنن النظام بين جميع أفرادها فكان بذلك شريعة شاملة كاملة تقرر مبادىء العدل وأصول

المساواة وتدافع عن الحرية (١) ولا أدل على ذلك من حالة الأمم التى دانت للاسلام فى مبدأ ظهوره وكانت متنافرة جاهلة محرومة من عوامل التمدين والرقى والنظام فجعل لها رابطة متينة وجامعة قوية فى قليل من السنين وألف منها أمة عزيزة الجانب تولت زعامة العلم وقيادة الرقى فى جميع العالم قرونا عديدة وما زالت أحكام الاسلام وآدابه دليلا هاديا لأعظم الأمم حضارة وأنبلها أخلاقاً فى التهذيب والتشريع وقواعد الاجتماع حتى يترقى النوع الإنسانى جميعه إلى ذروة الكمال والسعادة . وتلك حقيقة كنا فى غنى عن إقامة البرهان على صحتها لولا ما أصيبت به الأمة الإسلامية فى نفر من أبنائها استهوتهم مظاهر المدنية الزائفة فاستأنست أهواؤهم لما فيها من تهاويل المعيشة الإباحية ومالت نفوسهم الجامحة إلى تساهل بعض القوانين الوضعية فى قواعد الأخلاق والآداب التى تكبح جماح النفوس فاهملوها ظهريا واستخفوا بالأخلاق والدين معا وأضحى من رأى أولئك أن لا لزوم للدين فى عصرنا الحاضر فان قلت لماذا ؟ أجابوك لبلوغ العقل والتفكير أسمى درجاتهما ! ولكون الطبيعة تسير بحركة آلية فهى لاتحتاج لمنظم أو مدبر يتحتم الاعتقاد بوجوده ولماذا أيضا ؟ لأن الإنسان بلغ من الرقى درجة لايحتاج معها إلى دين يسيطر على تصرفاته . بخ .. بخ . وأنعم بهذه الفلسفة الضخمة فى القرن العشرين عصر العلم والنور كما يزعم الزاعمون . وهل فى الحق والمنطق أن فلسفتهم هذه فلسفة صحيحة ؟ وهل مايقولون مبنى على شىء من التأمل والنظر الصحيح ؟ كلا والله وأتعس بها من فلسفة ما أشأمها وما أشدها صغارا وحقارة . ولو تساءلنا نحن لماذا وكان الجواب مطابقا للحق لقلنا ذلك لأن

---

(١) ويدخل فى شمولها سائر الديانات المنزلة كمقدمات لها . ولذا تؤمن الديانة الاسلامية بسائر الديانات مالم تحرف أو تبدل نصوصها .

الدين يقرر وجود إله حكيم خلق الكائنات وهو يعتنى بها ويسيطر على نظامها ويجازى النفوس على حسناتها وسيئاتها فى دار غير هذه الدار هى محل الثواب والعقاب ودار النعيم والعذاب .. والقوم يريدون أن يكون أمر الحياة فوضى لا إله ولا نظام ولا حساب لكى يفسدوا فى الأرض ماشاءوا وهم لايودون أن يرواعواقب شرورهم ومفاسدهم . ولماذا أيضا ؟ لأن الدين يحول بين نفوس أتباعه وبين المبالغة فى الشهوات وارتكاب المفاسد ويحتم عليهم الكمال الخلق ويحض على العفاف والاستقامة والقوم لايملكون من نفوسهم أن يأمروها ولا من أهوائهم أن يكبحوا جماحها وصدق الله العظيم حيث يقول :

« ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِى عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ »

وهل يمكن حقيقة أن يعيش الإنسان بغير دين وبغير معتقد فى إله علوى يكلؤه ويرعاه ؟ كلا والله ثم كلا .

ولو نظر الإنسان بعين التعقل والتبصر إلى تركيب هذا الكون الباهر البديع المتقن الصنع المحكم الوضع والترتيب لوجد أن جميع مواليد الطبيعة مقسمة تقسيما مضبوطا إلى فصائل مختلفة ولكل فصيلة نظاما مخصوصا فى منتهى الإحكام وقانونا مضبوطا تسير عليه لايعتوره خلل ولا شذوذ ، وإذا تأمل امرؤ تأمل الحكيم لوجدها كلها ترجع إلى نظام الهى واحد يشملها فى مجموعها من جماد ونبات وحيوان فهل يمكن مع هذا أن يخلق الله الإنسان وهو أعلا الكائنات فى الطبيعة وسيد أنواعها وأجناسها وفصائلها وخليفة الله فى الأرض ثم يدعه هملا بغير نظام يسير عليه أو قانون الهى يرجع فى أموره اليه أو شريعة تنظم له حاضر معاشه وتهيء له آجل معاده وتسوقه إلى ما أعد له من الكمال الإنسانى والرقى الروحى بينما نرى للنمل

فى قراه نظاما بديعا وشريعة محسوسة تحير العقل وللنحل فى خلاياه قانونا وحكومة منظمة وللحشرات وللبهائم وللوحوش وللطيور نظاما كذلك تلهمه بغريزتها ولا شىء فى العالم الا وله نظام محكم وشرعة مضبوطة وضعها :

« الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى » « وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا »

ولوجاز أن الله قد جعل حياة الإنسان فوضى يسير على غير هدى ولا دين ينظم مسلكه لكان النمل فى جنوده وتنظيمه والنحل فى حكومته وترتيبه والجماد فى تنوعه والنبات وفصائله والحيوان ومايشمله من نظام وإبداع وإحكام خيرا وأقرب إلى الحق من الانسان فى انفكاكه عن النظام وإلحاده وكبريائه وادعائه

« أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ . فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ »

والانسان اجتماعى بطبيعته وحيوان بجبلته وملك كريم بروحه وفطرته وبما أودع الله فيه من سره « فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ » خلقه الله سبحانه من أضداد وركبه من متباينات ألف بينها وأحكم وضعها فى كون متضارب وعالم مملوء بأنواع العجائب ، جمع بين الخير والشر والايمان والكفر والسراء والضراء والخيانة والأمانة والرحمة والقسوة واللؤم والطيبة والصدق والكذب والاستقامة والفجور ثم جعله مستعدا بطبيعته استعدادا اضطراريا لجميع مافى العالم من خيرات وشرور ، وهو ميال للخير بحكم فطرته المعنوية ومشاعره الأدبية ، ومدفوع للشر بحكم جنسيته الحيوانية وجبلته الطينية فهل من الحكمة فى نظر العقلاء أن يخلق الله ذلك الكائن المسكين المتباين الأهواء والعواطف ثم يرسله فى ذلك العالم المختلف

السبل والغابات والبحر المتلاطم الأمواج إرسالا مهملا بغير دين يقوده ولا شريعة عادلة تدعوه الى النافع من الخير وتحذره من الشر حتى يتم وظيفته فى الحياة مع ماعلمنا من سنن النظام فى الـكون ؟! واذا كان حال الناس لايستقيم ولايتوطد الأمن فى هيئاتهم الاجتماعية بغير قانون وضعى يحدد تصرفاتهم وحكومة ساهرة تنظر بالعدل فى صوالحهم فكم لعمرو الحق يحتاج الانسان فى وجوده إلى دين قويم يجمع بين مختلف أهوائه وشرع حكيم يحفظ كيانه فى حياته ويبلغه السعادة بعد مماته ويعلمه الواجب نحو المجموع ونحو ربه ونفسه ؟! وهل الدين إلا مجموع الشرائع الأولى والنواميس العليا التى وضعت على مثالها الشرائع الاجتماعية والقوانين الوضعية ؟ وهل الدين الا ذلك الاحساس القهرى والشعور الفطرى المتسلط على القلوب والأفئدة بوجوب وجود قوة عالية مسيطرة على سائر نواميس الطبيعة وشئون الانسان يدين لها جميع المخلوقات ويقدسها سائر أهل الأرض والسموات ؟ ذلك الشعور الحق يتساوى فيه سائر أهل العالم بلافرق بين جاهل ومتعلم ومتمدين ومتوحش وبدوى وحضرى

وقد أجمع الـكل على الاحساس بالرهبة لتلك القوة العظمى والرغبة فيما عندها من فضل وخير والاحتياج اليها فى كل نفس ولحظة وان تنوعوا فى كيفية عرفانها وسبل التقرب اليها ومهما اختلفت المذاهب والمعتقدات وتباينت كيفية العبادات . أليس الشعور بهذه القوة العامة أو الحقيقة الالهية العظمى عام شامل لسائر نفوس البشر على اختلاف ألوانهم وألسنتهم ومعتقداتهم أجل والله وان ضل بعضهم الطريق واهتدى اليه فريق دون فريق وان شغل بعضهم موضع الايمان بربه من قلبه بآلهة متعددة وأهواء وشهوات فاسدة وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوف واحد .

نعم هذا الشعور نفسه هو الذى يدين به المسلم فى مسجده والراهب فى صومعته والكاهن فى هيكله والوثنى أمام صنمه وعابد النار فى مذبحه وعابد الكواكب فى نجومه وكواكبه وألست معى فى الرأى بأن كل من فى العالم يدين لتلك العزة الالهية على قدر قوة يقينه بها وصحة معتقده أوطريف خياله فى تصوره لآلهته الوهمية! أليست هذه القوة الالهية هى التى يتعرف إليها الطبيعى فى نواميسه ومباحثه تحت اسم الطبيعة ويبحث عنها الملحد فى إشكالاته وشبهاته وان كان ذلك بطريق سلبى يجعله يعتقد بنفس إلحاده فيكون مؤمنا بشىء وإلى حد ما

« سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا »

ووالله ماذلك الاندفاع الفطرى وراء المعتقد بجميع صوره وذلك الشعور المبثوث منذ القدم فى فطرة البشر إلا الدين بمعناه العام وان تعددت مظاهر التبتل وصنوف الاعتقاد وتكيفت أنواع العبادات لبارىء كل مافى الأرض والسموات. وعاطفة التدين وجدت مع أول نسمة إنسانية خلقت على الأرض ثم تدرجت وظلت ملازمة للإنسان ومتطورة معه مدا وجزرا وضعفا وقوة وستظل هكذا إلى أن يتلاشى وجوده من على سطح الأرض وكل ذلك يدل على أن الدين أمر فطرى فينا معشر البشر وإن تلون ألوانا ولا يمكن انتزاعه من أفئدة الناس إلا إذا أمكن أن يعيش الإنسان بغير قلب أو شعور يفيض بالعواطف وبغير روح تشعر بالحقائق

قال (أرنست رينان) الفيلسوف الفرنسى الجليل «من الممكن أن يضمحل ويتلاشى كل شىء نحبه وكل شىء نعده من ملاذ الحياة ونعيمها ومن الممكن أن تبطل حرية استعمال القوة الفكرية والعلم والصناعة ولكن يستحيل أن ينمحى التدين أو يتلاشى بل سيبقى أبد الآبدين حجة ناطقة على بطلان المذهب

الذى يود أن يحصر الفكر الانسانى فى المضائق الدنيئة للحياة الطينية »

وقال (أوجست سابتييه) «لماذا أنا متدين ؟ إنى لم أحرك شفتى بهذا السؤال مرة الا وأرانى مسوقا بالاجابة عليه بهذا الجواب : أنا متدين لأنى لا أستطيع خلاف ذلك ولأن التدين لازم معنوى من لوازم ذاتى ، يقولون لى ذلك أثر من آثار الوراثة أو التربية أو المزاج فأقول لهم : قد اعترضت على نفسى كثيرا بنفس هذا الاعتراض ولكنى وجدته يتقهقر أمام المسألة ولا يحلها وان ضرورة التدين التى أشاهدها فى حياتى الشخصية أشاهدها بأكبر قوة فى الحياة الاجتماعية البشرية التى ليست أقل تشبثا منى بأهداب الدين . اذن فالدين باق وغير قابل للزوال وهو فضلا عن عدم نضوب ينبوعه بتمادى الزمن نرى ذلك الينبوع يتزايد اتساعا وعمقا تحت المؤثر المزدوج من الفكر الفلسفى والتجارب الحيوية »

وبالجملة فثق واعتقد أيها القارىء أنه إذا تلاشت كل قوة فى العالم فالدين لا يتلاشى ولا يزول بل هو باق ببقاء الله ولا يمكننا بحال من الأحوال أن نعيش بغير دين

وما الدين للإنسان إلا سعادة   وما الناس لولا الدين إلا بهائم

محور الاسلام وهدفه

« شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّي بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ »

قد أثبتنا أن الانسان لا يمكنه أن يحيا حياة طيبة دون شريعة إلهية تهديه وترشده إلى سواء السبيل وأوضحنا الأسباب الموجبة لذلك وقدمنا أيضا أن الاسلام مجموعة عقائد وعبادات ومعاملات تكفل للعاملين بها سعادة الدنيا

والآخرة وتصلح بثبات مستمدها وواضح أصولها لكل زمان ومكان والآن نريد أن نفصل ذلك الاجمال تفصيلا لا يدع شكا لمشكك ولا ريبة لجاهل فنقول:

إذا حللنا أصول الاسلام وقواعده المقصودة بالذات فى كتابه وشريعة الرسول الذى جاء به وهو محمد (صلعم) بروح التعقل والانصاف لوجدنا أن الاسلام يقوم على أربعة أركان:

(١) توحيد وتنزيه
(٢) علم وعمل
(٣) عبادات ومعاملات
(٤) تقاليد موروثة وعادات

فأول أركان الاسلام ودعامة أصوله المرعية هو التوحيد، توحيد الله سبحانه وتعالى فى ذاته ووصفه وفعله وتنزيهه كذلك عن الشريك والنظير والنسيب وجعل رتبة ألوهيته أقدس من أن يصل إليها وهم واهم أو ينتسب إليها حادث من الحوادث. أجل فان التوحيد مبدأ فطرى عام فى الخليقة تدل عليه الكائنات بتوحدها وتطورها وارتقائها إلى هدف أعلا من مجرد وجودها وتشهد به نواميس الطبيعة فى توحدها وتجانسها مما يدلك على أن مبدعها ومنظمها والمسيطر عليها هو مبدأ واحد لذات متوحدة هى وحدها واجبة الوجود وماعداها ممكنات محدثات يجوز وجودها كما يجوز عدمها. والتوحيد تعترف به سائر الكتب المنزلة فى حال سلامتها من التبديل والتغيير يقول الله سبحانه وتعالى

« سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ » « مَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ » « قُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللّٰهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ . أَمَّنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ

والأَرْضَ وأَنْزَلَ لَكُم مِّنَ السَّماءِ ماءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ » « هُوَ اللهُ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ »

وقال سيدنا عيسى عليه السلام فى الانجيل « هذه الحياة الأبدية إنك أنت وحدك الاله الحق »

وقال سقراط شيخ الحكماء : يجب أن تعرفوا أن إلهكم واحد

وهكذا جعل الاسلام عقيدة التوحيد أول وأوجب أصوله لأمرين

الأول : لأن التوحيد هو الحقيقة الواقعة المطلقة التى ليس وراءها إلا مطلق الباطل والاسلام جاء بالحق

والثانى : لأن الغرض من التوحيد تحرير الفكر وعتق الارادة وحمايتهما من غول الوهم وسلطان الاستبداد وسجن الجمود ونير الاستعباد وعمى التقليد لتتآخى الانسانية وتتحد وجهة الحياة ويتساوى أفراد الخليقة عظيمهم وحقيرهم أمام وحدانية الله وجامعة المعتقد ورابطة الدين وأما تنزيه الذات الأقدس (الله) عن الشريك والنظير والمعين فهو واجب أوجبه الاسلام لأن الله هو الواحد الأحد الذى له الفعل وله الأمر لايشبه ذاته شىء من الكائنات ولا هو يشبه شيئا منها جلت ذات ربنا عن المثيل والنظير والشريك

والغاية من التنزيه تصفية العقول من كدر الشرك وغواشى الخرافات التى تكون إذا علقت بالعقل حجابا كثيفا يحجبه عن الحقائق ويزج به فى ظلمة الغفلة والجهالة فيعيش بين أحضان الوهم مقيدا بأغلال الشك .

وقد رفع الاسلام بهذه العقيدة ما كان قد وضعه رؤساء الأديان من الحجر على عقول المتدينين فى فهم الكتب مستأثرين بذلك الحق لأنفسهم

ضانين به على غيرهم من عامة الشعب ليحتفظوا بصولجان الرئاسة وأبهة السلطان الدينى فيحال بين العقول بسبب ذلك وبين الحقائق بحجاب كثيف من الجمود والجهل سداه الظلم ولحمته الأثرة والاستبداد

وقد جاء الاسلام بالتوحيد والتنزيه فى زمن كانت فيه الأمم تهيم فى ليل حالك من الجهل والشرك وتأليه الرؤساء وعبادة الكواكب والأحجار فنادى بأن الله هو الاله الواحد الحق الذى لا إله إلا هو وحده لاشريك له وأن كل توجه وعبادة لايقصد بها ذلك الاله الواحد الأحد عبادة باطلة وشرك محض ويقول الاسلام بأن دين الله واحد فى سائر الأزمان وفى جميع الكتب وعلى ألسنة الرسل والأنبياء .

« أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ » « مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ » « أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » « قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ »

وما سائر الرسل فى نظر الاسلام إلا طبقة من طبقات البشر امتازت عن غيرها باستعداد إلهى يؤهل أهل هذه الطبقة لحمل رسالات الله وتبليغها للامم التى هم من أفرادها فاصطفاهم الله سبحانه وتعالى وعصمهم من الجهل والزيغ والضلال وأقامهم بين الناس هادين ومرشدين ونزل عليهم شرائعهم السماوية ليجمعوا كلمة الخلق على عبادة إله واحد منزه عن علل الحدوث وعلائق

النقص وما يوهم حلولا أو اتحاداً أو اتصالا وانفصالا .

أرسل الله أولئك الرسل ليبينوا للناس بعد التوحيد أن الحياة الدنيا سبيل إلى الآخرة ولا فوز ولا نجاة من مهالكها إلا للذين يعملون الصالحات فى الدنيا وأن الويل والهلاك للذين يعملون السيئات فيها وأن لاسعادة ولا هناء للبشر إلا باتباع سبيل الاستقامة والاعتدال والتمسك ببقية مكارم الأخلاق واحترام حقوق الأفراد والجماعات ودعوة الجميع إلى شريعة عامة تهدف فى مجموعها إلى محبة الخالق وطاعته وشكره

« وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ »

ثم الاحسان إلى مخلوقاته وإقامة ناموس العدل والرحمة بين أفراد الجامعة الإنسانية ومحاربة النقائص البشرية ما أمكن واقتباس الكمالات الالهية على قدر الطاقة .

وهكذا اقتضت رحمة الله بعباده أن يرسل بين كل زمن وآخر رسولا يحمل للناس هذه الحقيقة فى صبغة توافق عقول أهل ذلك الزمن وينزل على فؤاد هذا الرسول من الشرائع ما يتفق مع شئون ومناسبات العصر وحالة الأمة التى أرسل اليها فكان الدين بذلك نظاما متدرجاً يتمشى مع سنة التطور والترقى وادوار تثقف العقل البشرى حتى آن أوان الكمال ودارت الأزمان وترقت الخليقة واستعدت فطرة الانسان لتلقى آخر رسالة وشريعة فى آخر كتاب على لسان آخر رسول فأرسل الله سبحانه وتعالى محمدا (صلعم) برسالة الكمال وأنزل عليه قرآناً عربيا غير ذى عوج يخاطب العقول فتفهمه وتطمئن له الأفئدة والقلوب وهو فى الوقت نفسه مؤيد بكل ما يستحدث فى الوجود من معارف وعلوم ونظريات وكشوف

« كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ »

أنزل الله ذلك الكتاب وقد تفرقت العقائد فوحدها وتذبذبت المكارم

فثبتها وضلت الأنفس فقومها وتفاوتت أقدار الناس تفاوتاً موهوما فساوى بينها ولم يجعل لأحد على أحد ميزة إلا بالتقوى فتهافتت الأمم على الاخذ بما أقام من دين قويم وسن من شرائع سمحة ارتبطت بها المصالح متآخين متحدين تحت لواء التوحيد وجامعة الدين واخاء الاسلام فتوحدت مقاصدهم واجتمعت كلمتهم فذللوا المصاعب والعقبات الكائنة فى طريق الاسلام ومدوا ظلال العمران وشيدوا الممالك وسادوا غيرهم من الشعوب التى لم تنهج نهجهم ملبين نداء الله سبحانه وتعالى فى كتابه حيث يقول .

(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)

وقد استمدوا من عقيدة التوحيد والتنزيه روح الشجاعة والقوة والتضحية ومن متانة التشريع قواعد المساواة والرقى والحرية فغمرتهم سعادة الدنيا وأظلتهم هداية الآخرة .

هذا من جهة التوحيد والتنزيه وأما من جهة العلم والعمل فقد قدمنا آنفاً أن الدين الاسلامى يجعل العلم واجباً محتما على كل مسلم ومسلمة يطلبونه من المهد إلى اللحد . وأما العمل فقد فرض الاسلام على أهله واجبات وفرائض قررها القرآن وفصلتها السنة وسيأتى بيانها .

وأما العبادات والمعاملات فهى فرائض وأحكام فرضها كتاب الاسلام على متبعيه إما بقصد العبادة والتقرب الى الله وإما بقصد سياسة المجتمع فى التعامل وآداب المعاشرة وأما التقاليد الموروثة لأهل الملة الاسلامية من آبائهم فى الجاهلية فهى بقايا ملة إبراهيم وسنن صالحة سنها العرب بالفطرة كالختان وتقليم الأظافر وإزالة الشعر من مغابن البدن التى تعتبر عورة أو تكون محلا للقذر هذا ولنرجع إلى تفصيل التوحيد والتنزيه ونقدم بين يدى ذلك بيان معانى الدين والاسلام والايمان والاحسان ثم بيان العقيدة الاسلامية كاملة

وواجبات الاسلام ومندوباته وحلاله وحرامه ومباحه فنقول :

أصول الاسلام وقواعده

إن الدين إطلاقا أى الدين فى معناه المطلق هو إدراك قوة سامية مسيطرة على كليات الوجود وجزئياته يدين : أى يخضع لها كل كائن حى شاعر بسوابغ نعمتها وشديد عقابها ويعترف لها بوجوب العبادة والدينونة أى الثواب والعقاب فى الدنيا والآخرة . والدين لغة من دان أى خضع فأطاع وعبد ومنها دانه أى حاسبه على أعماله فأثابه أو عاقبه

والدين فى شرعة الاسلام هو ما شرعه الله على لسان نبيه (صلعم) من الأحكام وسمى دينا لأننا ندين به ونذعن له وننقاد .

وسمى أيضاً ملة لأن جبريل كان يمليه على الرسول والرسول يمليه علينا وسمى أيضاً شرعا وشريعة من حيث أن الله شرعه لنا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم

أما الاسلام فهو فى اللغة مطلق الاستسلام، ماضيه أسلم، من معانيه السلام والسلامة والسلم وكلها مادة واحـــدة وفى الشرع الاسلامى هو : الانقياد لكل ما جاء به النبى محمد (صلعم) من عند الله . وقواعده خمسة :

أولها : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ومعناها توحيد الله وتنزيهه وعبادته وتقديسه ثم اعتقاد الكمال فى رسوله والصدق فى كلامه .

وثانيها : إقامة الصلاة بحدودها وأركانها وتنحية كل ماسوى الله عن الذهن عند الصلاة ـ وهو معنى الله أكبر ـ ثم الخشوع فيها والفهم لما يقرأ أثناءها

وثالثها : إيتاء الزكاة لمستحقها ورعاية كمالها بالصدقة قولا وفعلا

ورابعها : صوم رمضان وهو صيانة الجوارح من اللسان والفكر والبطن والفرج عما يخالف شروط ذلك الصوم

وخامسها : الحج إلى بيت الله بمكة لمن استطاع والتشرف بمناجاة الله فى

مثل تلك البقاع المقدسة ولقاء المسلمين الذين يأتون من كل فج عميق ليتعارفوا ويتآلفوا ذاكرين ملبين مهللين متعاونين على البر والتقوى

وأما شعائر الاسلام : فهى إبداء السلام للكبير والصغير والرفيع والوضيع وتشييع جنائز الأقارب والأباعد والاصلاح بين المسلمين والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومخالفة النفس والهوى وحفظ الفرج وغض البصر وحسن الجوار وكف الأذى وبر الوالدين وصلة الرحم ومجالسة الأخيار واحترام أهل الصلاح والخير وصفاء الباطن وطهارة الظاهر ثم النظافة والختان وحلق العانة والابط وحسن الهيئة والتطيب وملازمة الوقار ومراقبة الله فى جميع الأحوال

وأما أحكام الشرع الاسلامى : فهى خمسة (واجب) وهو مايثاب المسلم على فعله ويعاقب على تركه (ومندوب) وهو مايثاب المسلم على فعله ولا يعاقب على تركه ويرادفه السنن والنوافل (ومكروه) وهو مايثاب المسلم على تركه ولا يعاقب على فعله (وحرام) وهو مايعاقب المسلم على فعله ويثاب على تركه (ومباح) وهو مالا يعاقب ولا يثاب المسلم على فعله أو تركه

وأمور الدين الاسلامى : التى يجرى عليها أربعة :

أولها : (صدق القصد) وهو أداء العبادة بكمال النية والاخلاص لله فيها

وثانيها : (الوفاء بالعهد) ومعناه القيـــام بجميع الفرائض فى أوقاتها وشروطها وآدابها

وثالثها : (اجتناب الحد) أى اجتناب المحرمات والشبهات وكل مانهى الله عنه وأوجب عليه غضبه وعقوبته .

ورابعها : (صحة العقد) ومعناه انطواء القلب على توحيد الله وتنزيهه والأخذ بجميع عقائد أهل السنة الذين يطبقون سنة رسول الله على القرآن

وأما الايمان فهو فى اللغة التصديق المطابق للحقيقة وفى الشرع التصديق القلبى والاعتقاد الجازم بجميع ماجاء به الرسول من عقائد وأحكام وهو

إقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان ، والايمان تزيده الطاعة وتنقصه المعصية ويقوى بالعلم ويضعف بالجهل وتفصيله أن يؤمن المسلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر كله من الله

وحقيقة الايمان أن يطمئن قلب المسلم بما جاء به الشرع كالتوحيد والتنزيه وبقية أحكام الاسلام ويصدق بجميع ذلك تصديقا شهوديا يباشر الروح والفؤاد بحيث لو خالفه كل أهل العالم فى عقيدته لايجد فى نفسه شكا أو ريبا

وأما الاحسان فهو الاجادة والاتقان ومعناه هنا العمل لله على وجه الاخلاص واليقين ومراقبته فى كل صغيرة وكبيرة والحياء منه والتحبب إليه

وإجمالا فإن الاسلام علم واعتقاد وعمل ويقضى الاسلام بأن العمل لايصلح إلا بالنية ولا تصح النية إلا بالاعتقاد ولا يصح الاعتقاد إلا إذا كان ذاتيا ومشمولا بموافقة الكتاب والسنة

وتفصيل المعتقد الاسلامى فى مجموعه كما يأتى :

أن يعتقد المسلم المؤمن أن الله هو الحى الذى لايموت والدائم الذى لايفنى وهو القيوم الذى لاينام والعزيز الذى لا يضام والمنيع الذى لايرام وهو المحصى لأنفاس الخلائق والمنزه عن الاضافات والعلائق القائم على كل نفس بما كسبت المجزى كل نسمة بما عملت

(لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وعَدَّهُمْ عَدًّا . وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا)

(لِيَجْزِىَ الَّذِينَ أَسَاءوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِىَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى)

وأنه سبحانه وتعالى واحد فى ذاته لاشريك له فرد لامثيل له صمد لاضد له منفرد لاند له قديم لاأول له أزلى لابداية له، مستمر الوجود لا آخر له، أبدى لانهاية له ، قيوم بلا انقطاع ودائم بلا انصرام لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الكمال منزها عن الحلول والاتحاد والاتصال والانفصال لاجسم له ولا يشبه الأجسام لايشبهه موجود من الموجودات ولا يماثله قط معبود من

المعبودات ليس كمثله شيء ولا هو مثل شيء. لايحده المقدار ولا تحويه الأقدار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الأرضون والسموات، لاتتصوره الأوهام ولا تقدره الأذهان ولا تصل إلى كنهه الأفهام فرد معبود أبدى الملكوت سرمدى الجبروت عليم بذات الصدور وبيده مقاليد الأمور لا مؤخر لما قدم ولا مقدم لما أخر ، ولا معقب لحكمه ولا رادّ لأمره ولا دافع لمشيئته، كل الخليقة مفتقرة إليه وهو الذى يجير ولا يجار عليه ، لاشريك له فى تدبير ملكه ولا معين ولا وزير ولا ظهير ولا ند ولا ضد ، عادل فى حكمه وقضائه ، محسن متفضل فى جوده وعطائه حليم لايعجل وجواد لايبخل ، حفيظ لاينسى ويقظان لايسهو ولا يغفل وهو الذى أضحك وأبكى، وأسعد وأشقى وأفقر وأغنى وله سبحانه وتعالى الآخرة والأولى وإجمالا فإن المسلم يعتقد أن الله سبحانه وتعالى متصف بكل كمال منزه عن كل نقص جائز فى حقه فعل كل ممكن أو تركه .

وأن لله سبحانه أسماء لا تحصى ولا تستقصى والذى يجب على المسلم عرفانه منها تسع وتسعون اسماً وهى :

الله الذى لا إله إلا هو الملك . القدوس . السلام . المؤمن . المهيمن . العزيز . الجبار . المتكبر . الخالق . البارىء . المصور . الغفار . القهار . الوهاب . الرزاق . الفتاح . العليم . القابض . الباسط . الخافض . الرافع . المعز . المذل . السميع . البصير . الحكم . العدل . اللطيف . الخبير . الحليم . العظيم . الغفور . الشكور . العلى . الكبير . الحفيظ . المقيت . الحسيب . الجليل . الكريم . الرقيب . المجيب . الواسع . الحكيم . الودود . المجيد . الباعث . الشهيد . الحق . الوكيل . القوى . المتين . الولى . الحميد . المحصى . المبدىء . المعيد . المحي . المميت . الحى . القيوم . الواجد . الماجد . الواحد . الفرد . الصمد القادر . المقتدر . المقدم . المؤخر . الأول . الآخر . الظاهر .

الباطن . الوالى . المتعالى . البر . التواب . المنتقم . العفو . الرؤوف . مالك الملك . ذو الجلال والاكرام . المقسط . الجامع . الغنى . المغنى . المانع . الضار . النافع . النور . الهادى . البديع الباقى . الوارث . الدائم . الرشيد . الصبور .

ثم إن لله عشرين صفة يجب على كل مسلم عرفانها والايمان بها وتنزيه الله عن اضدادها وهى :

أن يؤمن المسلم بأن الله (موجود) ليس بمعدوم (قديم) غير حادث (باق) لا يطرأ عليه الفناء (مخالف للحوادث) لا شىء يماثله ولا هو يماثل شيئا (قائم بنفسه) لا يحتاج لسواه كمحل أو غيره (واحد) فى ذاته وصفاته وأفعاله (له القدرة) الفائقة فلا يعوقها عائق (والإرادة) المطلقة فلا يمنعها مانع (والعلم) الواسع فلا يلحقه قصور (والحياة) الدائمة فلا يعتريها زوال ولا فتور (والسمع) المحيط الذى لا يعزب عنه مسموع (والبصر) الشامل الذى لا يغيب عنه مرئى (والكلام) القديم الذى لا يشبهه كلام .

فهو (القادر) بلا عكس (والمريد) بلا إكراه (العالم) بلا جهل (الحى) بلا موت (السميع) بلا صمم (البصير) بلا عمى (المتكلم) بلا بكم .

ثم إنه يجب على المسلم أن يؤمن بالقدر خيره وشره وحلو القضاء ومره وان ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وأن جميع ما كان فى سالف الدهور وما يكون فى مستقبل الأزمان فهو بقضاء الله وقدره ويجب على المسلم أن يعتقد أن القرآن والتوراة والانجيل والزبور من كتب الله المنزلة على رسله وأن القرآن المقروء بالألسنة المكتوب فى المصاحف المحفوظ فى القلوب كلام الله القديم القائم بذاته غير مخلوق ولا مبدل ولا مصنوع إنما هو كتاب الله ووحيه وخطابه الذى نزل به جبريل على نبيه محمد (صلعم) وأن لله رسلا وأنبياء كثيرين لا يعلمهم إلا الذى خلقهم ويجب على المسلم أن يعرف منهم خمسة وعشرين رسولا . وهم : آدم . إدريس . نوح .

هود . صالح . لوط . ابراهيم . اسماعيل . اسحاق . يعقوب يوسف . شعيب . موسى . داوود . ذو الكفل . سليمان . أيوب . يونس . الياس . اليسع . أيوب . زكريا . يحي . عيسى . محمد صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً . وأولو العزم منهم خمسة هم : نوح . ابراهيم . موسى . عيسى . محمد عليهم السلام .

ويجب على المسلم أن يعتقد فى حقهم الصدق والامانة وتبليغ الرسالة والفطنة وينزههم عما يتنافى وأخلاقهم الكريمة وأرواحهم العالية من النقائص عدا الاعراض البشرية التى لا تؤدى إلى نقص فى مراتبهم العلية .

وأولئك هم أفضل الرسل وأفضلهم سيدنا محمد (صلعم)

محمد رسول الله (صلعم)

وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نذار بن معد بن عدنان .

ولد (صلعم) بمكة قبيل فجر يوم الاثنين ٩ ربيع الاول عام الفيل الموافق (٢٠ ابريل سنة ٥٧١ م) ولما بلغ (صلعم) اربعين سنه أمره الله سبحانه وتعالى بتبليغ الرسالة وأرسله الى الناس كافة والى الجن عامة وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين وخاطبه بقوله

« وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ » « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ »

وكان (صلعم) معتدل القامة متوسط الطول ليس بالطويل ولا بالقصير كثيف الشعر سبط الأطراف عريض مابين الكتفين أبيض اللون مشربا بحمرة أكحل العينين أدعجهما وكان إلى ذلك يعنى بنظافة جسمه وثيابه ويحرص على حسن هندامه وكان حاضر البديهة سريع الجواب فى أدب ووقار كما كان كثير الانشراح والتبسط مع أصحابه وأهله وكان شديد الحياء إلا فى حدود

الله وكان (صلعم) على جانب عظيم من حسن الخلق وقد اشتهر بين قومه بالمروءة والوفاء بالعهد وحسن الجوار والحلم والعفة والتواضع والجود والشجاعة والصدق والأمانة حتى سموه الأمين وكان يكره عبادة الأوثان فلم يحضر مواسم الحج وكان لا شرب الخمر ولا يأكل مما يذبح على النصب ولا يحضر مجالس اللهو والسمر

وقد أسرى الله به (صلعم) فى ليلة السابع والعشرين من شهر رجب قبل الهجرة بسنة ونصف من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ومنه عرج به إلى السماء حتى بلغ سدرة المنتهى وقربه ربه

« فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى »

ولما بلغ عمره (صلعم) ثلاثا وخمسين سنة هاجر من مكة إلى المدينة فى يوم الخميس أول ربيع الأول ووصل إلى المدينة فى يوم ١٦ ربيع الأول (٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ م) وكان ذلك فى يوم الجمعة فصلى بالناس الجمعة لأول مرة وأقام فيها وأظهر دين الله بها وهناك أكمل رسالته . وبعد أن عاش ثلاثا وستين سنة وبعد أن خوطب من ربه بقوله

« الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ».

آثر جوار ربه وذلك فى يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول سنة ١١ هـ الموافق (٨ يونية سنة ٦٣٢ م)

وقد خرج (صلعم) من الدنيا ولم يخلف من حطامها الفانى شيئا وإنما ترك التوحيد والإيمان والقرآن وعبادة الواحد الديان

وعلى المسلم أن يعتقد بعد ذلك أن لله ملائكة لا يحصرون ولا يعدون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، ولهم أجسام لطيفة نورانية قابلة للتشكل ليسوا ذكورا ولا إناثا ومن هؤلاء الملائكة جبريل أمين الوحى

وميكائيل الموكل بالأمطار وإسرافيل الموكل بالصور وعزرائيل الموكل بالأرواح ومنكر ونكير الموكلان بالسؤال فى القبر ورضوان خازن الجنة ومالك خازن النار . وكاتبا الحسنات والسيئات ويسمى كل منهما رقيبا أى حافظا وعتيدا أى حاضرا

ويجب على المسلم أن يؤمن بالسؤال فى القبر وبالسؤال بعد البعث وبالصراط بين الجنة والنار ، وبوزن الأعمال فالثواب عليها أو العقاب ، ودليل هذا المعتقد من الإسلام موجود فى القرآن عند قوله عز وجل

« مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى » « وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ »

ومن أهم مميزات المسلم فى نظر الإسلام : الصبر والشكر ، الصبر فى مواطن البلاء والشكر عند بحبوحه النعماء وهما نصفا الإيمان لما جاء فى الأثر.

وقد قدم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما أنتم ؟ قالوا : مؤمنون . قال : ماعلامة إيمانكم ؟ قالوا : الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمر القضاء والصدق فى مواطن اللقاء وترك الشماتة بالاعداء . فقال : « حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء »

وقال (صلعم) « والذى نفسى بيده لا يقضى الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له فمال، وليس ذلك إلا للمؤمن »

وللشريعة الاسلامية ثلاثة عشر ركنا .

أولها الشهادتان وهى الفطرة ، والصلوات الخمس وهى الملة ، والزكاة وهى الطهرة ، والصيام وهو الجنة ، والحج وهو الكمال ، والجهاد وهو النصر ، والأمر بالمعروف وهو الحجة ، والنهى عن المنكر وهو الوقاية ، والجماعة وهى الألفة ، والاستقامة وهى العصمة ، وأكل الحلال وهو الورع ، والحب

والبغض فى الله وهو الوثيقة ، والبر أو حسن التعامل مع الناس وهو الخلق.

ومن حق المسلم على المسلم عشر خصال وهى :

أن يسلم عليه إذا لقيه ، ويجيبه إذا دعاه ، ويشمته إذا عطس ، ويعوده إذا مرض ، ويشهد جنازته إذا مات ، ويبر قسمه إذا أقسم عليه ، وينصح له إذا استنصحه ، ويحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنه ، ويحب له ما يحب لنفسه ، ويكره له مايكره لنفسه .

ومن حق جماعة المسلمين عليه . أن يعين محسنهم وأن يستغفر لمذنبهم وأن يدعو لمدبرهم وأن يحب تائبهم كما جاء فى الحديث الذى رواه أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعلى المسلم فى حق جسده خصال منها: المضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وفرق شعر الرأس والختان والاستحداد وانتفاض الماء وهو الاستنجاء ونتف الأبط وتقليم الأظفار وغسل البراجم وتنظيف الرواجب والتطيب والاستحمام .

وعليه فى حق باطنه : سلامة القلب وطهارة النفس وخشية الرب ودوام التوبة والاستغفار من الذنب .

وأفضل صيغ الاستغفار ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو سيد الاستغفار :

« اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّى لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ بِنِعْمَتِكَ عَلَىَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِى فَاغْفِرْ لِى فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ »

ثم دوام ذكر الله لقوله تعالى

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا . وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا »

ومن أحسن ما جاء فى فضل الذكر انه سئل رسول الله (صلعم) أى الجهاد أفضل ؟ وفى رواية : أى العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة يارسول الله؟

قال : أكثرهم لله ذكرا . ثم سئل . أى الصائمين أعظم ؟ قال : أكثرهم لله ذكرا ثم ذكر السائل الصلاة والزكاة والحج والصدقة ورسول الله يقول : أكثرهم لله ذكرا . فقال أبو بكر : قد ذهب الذاكرون بكل خير . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجل وحسبك فى ذلك قول الله تعالى

« إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ »

ومن حق الله على المسلم أنه إذا استيقظ من نومه صباحا قال :

« الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِى أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ . أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلهِ . أَصْبَحْتُ عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ وَكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ وَدِينِ مُحَمَّدٍ وَمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ . اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ خَيْرَ هٰذَا الْيَوْمِ وَخَيْرَ مَا فِيهِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا فِيهِ . رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ »

وإذا خرج من بيته إلى المسجد قال :

« اللَّهُمَّ إِنِّى خَرَجْتُ مِنْ بَيْتِى إِلَى بَيْتِكَ اتِّقَاءَ سُخْطِكَ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ . اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ وَبِحَقِّ مَمْشَاىَ هٰذَا إِلَيْكَ أَنْ تَغْفِرَ لِى ذُنُوبِى فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ »

فاذا دخل المسجد قال :

« اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ . اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى جَمِيعَ ذُنُوبِى وَافْتَحْ لِى أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ . فاذا ركع قال فى ركوعه : اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ وَلَكَ خَشَعْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسْلَمْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ . خَشَعَ سَمْعِى وَبَصَرِى وَمُخِّى وَعَظْمِى وَعَصَبِى وَمَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ قَدَمِى لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وإذا سجد قال :

سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ وشقّ سَمْعَهُ وبَصَرَهُ فتبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ . اللَّهُمَّ سَجَدَ لكَ سَوَادِي وخَيَالِي وآمَنَ بكَ فُؤَادِي أَبُوءُ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وأَبُوءُ بِذَنبي فَاغْفِرْ لِي مَاجَنَيْتُ عَلَى نَفْسِي فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنتَ »

وإذا أمسى وأراد النوم توضأ ثم توسد على يمينه مستقبل القبلة ثم كبر الله تعالى ٢٤ مرة وسبحه ٢٣ وحمده ٢٣ ثم قال :

بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذَنبِي . اللَّهُمَّ إِنَّكَ خَلَقتَ نَفْسِي وَأَنتَ تَتَوَفَّاهَا لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا . اللَّهُمَّ إِنْ قَبَضْتَهَا فَاغْفِرْ لَهَا وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ . اللَّهُمَّ أَيْقِظْنِي فِي أَحَبِّ السَّاعَاتِ إِلَيْكَ وَاسْتَعْمِلْنِي فِي أَحَبِّ الأَعْمَالِ إِلَيْكَ وَقَرِّبْنِي إِلَيْكَ زُلْفَى يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

ويقول عند ابتداء الأمور : رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا . رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي . فاذا غضب قال : اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنبِي وأَذْهِبْ غَيْظَ قَلْبِي وَأَجِرْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

ويقول عندما يصيبه من خسارة : عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ . فاذا وجد وجعاً فى جسده قال بعد أن يضع يده على الذى يؤلمه من جسده : بِسْمِ اللهِ (١) أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ (٧) فاذا بلغه وفاة أحـــد قال : إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ . اللَّهُمَّ فَاكْتُبْهُ فِي المُحْسِنِينَ واجْعَلْ كِتَابَهُ فى عِلِّيِّينَ واخْلُفْهُ عَلَى عَقِبِهِ فِي الغَابِرِينَ . اللَّهُمَّ لاَ تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ وَلاَ تَفْتِنَّا بَعْدَهُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ . فاذا زار المقابر قال : السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ يَاآلَ دَارِ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ يَاأَهْلَ الدِّيَارِ المُوحِشَةِ والمَحَالِّ المُقْفِرَةِ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ والمُسْلِمِينَ

والْمُسْلِمَاتِ أَنْتُمْ لَنَا سَلَفٌ فَارِطٌ وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ لاَحِقٌ . اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ وَتَجَاوَزْ بِعَفْوِكَ عَنَّا وَعَنْهُمْ .

معرفة الله والايمان به ضرورة حتمية

وبعد : فيا أيها الباحث عن حقيقة وجود الله بغية عرفانه وعن الدين والمعتقد والعالم الآخر وعن صلاحية ما أنزل الله من كتب وشرع من شرائع لهداية البشر .

وأنت أيها الحائر المتردد أيتبع هذا الدين أم ذاك أم يترك الأديان كلها ظهريا ويعيش دون أن يتقيد بديانة من الديانات أو ينصاع لشريعة من الشرائع اصغ إلى واعطنى أكثر انتباهك وكن متحررا من كل تقليد سابق لهذه اللحظة وانى بعد ذلك سائلك : هل ضاقت بك نفسك يوما وضاقت عليك الأرض بما رحبت الأمر الذى يحدث لكل انسان فى كل وقت فتمنيت الخروج من هذه الحياة على أثر أزمة نفسية أو ضائقة مالية أو حادث عائلى أو كارثة من الكوارث العامة أو مصيبة حلت بحبيب لك ؟ إذا كان شىء من هذا قد رأيته أو حصل لك حتى ضاقت فى وجهك فجاج الأرض ورحابها وأظلم فى نظرك جوها فماذا صنعت حين ذلك ؟ ألم تكن تشعر فى مثل تلك اللحظات العصيبة بضعف كيانك وضآلة وجودك ومحدودية قوتك ؟ ثم ألم تك تشعر مع هذا الشعور بأن فى الوجود قوة مطلقة محيطة بكل شىء أوقفك تدبيرها ونفاذ إرادتها لتتميم أغراضها موقفك الذى نتحدث عنه ؟ وألا تشعر فى مثل تلك اللحظات بصوت الاستغاثة ينبع من صميمك وهتاف الاستنجاد ينساب من فؤادك كبريق النور مستمدا العون ومستنجدا بتلك القدرة الفائقة المسيطرة على كل شىء فى الوجود ؟ ثم هل رجعت يوما الى نفسك فشعرت بنقص فى كيانك وقصور فى بشريتك فرأيت عقب ذلك أنه قد انتشر فى زوايا قلبك سلام العقيدة ونور الايمان وسكينة الخشية لقوة روحية مطلقة تحيط

بوجودك وتشمل سائر كيانك الداخلي والخارجي؟ إن كان مثل ذلك قد حدث لك يوما وهو حال طبيعي يحدث لكل امرىء حي ذى شعور ووجدان فما هى تلك القدرة العالية والقوة المطلقة التى تأتى فى روعك عند ذكرها إذا ما استنجدت بها بريق الرهبة ونور الأمل عقب الزلل أو فى حال الندم أو فترة الضعف؟ ومن ذا الذى أمدك بهذا الشعور الرفيع الذى يعتبر غريبا عن موجبات غريزتك البشرية وشئونها الأرضية؟ وما هى تلك الروح التى تمد نفسك بالأمل وتفعمها بالسرور والراحة والطمأنينة عند العمل الصالح أو الفكرة الخيرة والتى تشعر فى صميمك بالحاجة اليها دائماً؟ أقول: ما هى ياترى تلك القوة الفائقة والقدرة السامية التى نشعر فى صميم أفئدتنا بالحاجة إلى يدها القوية فنتشبث بها ورحمتها الواسعة فنحن اليها، وعدلها الغزير فعلق به حبال آمالنا وأمانينا؟ وبعبارة أخرى من هى تلك الذات الرفيعة الحكيمة العليمة لمحيطة بما يتخلل السموات والأرضين من أحداث وأسباب وعلائق ولا يشذ عن علمها شىء فى السموات أو فى الأرض والتى كان منها البدء واليها المصير؟ أتدرى من هى؟ هى (الله).

ثم هل حدث لك أن انتزعت قيادك مرة من يد الشيطان (وأنت طبعا تؤمن بوجوده) فخاص قلبك ونفسك من العلائق الدنيئة للحياة الطينية استعداداً للتعرف الى مبدعك وخالقك؟ إن كان مثل هذا قد حدث لك فاعلم أن ذلك هو (الإيمان) ثم هل شعرت مرة بدافع يدفعك إلى الركوع بين يدى الله وأنت فى حالة خشوع واستعداد للتقرب اليه والاقبال عليه والاحسان إلى سائر خليقته؟ إن كان مثل ذلك قد وقع فاعلم أن ذلك هو (الدين).

وهذه الأمور كلها قد تنزع إليها نفس الإنسان وهو غافل عنها وتصبو اليها روحه وإنما قد يخالطها، وكل من استقرأ اللحظات الدقيقة من حياته والسوانح الخاطرة لفؤاده، فهو مدرك بلا ريب صحة ما نقول إن كان لبيباً واعياً.

كيف لا وقد خلق الله الإنسان ابتداءً ولم يك شيئاً ثم أودع فيه الادراك ووهبه التمييز والتعقل ثم أنزل له الكتب وأرسل الرسل وحدد السبيل اليه ثم قال له : هلم عبدى ومن ذلك الطريق فاسلك إلى واعرفنى ، كل ذلك يتم والانسان معرض عن ربه وكأن الله قد صنع كل ماصنع يريد به خداع لانسان لاهدايته وكأنه لايريد أن يؤمن بالله حتى يراه جهرة مشخصا يقع عليه نظره ويدركه حسه دون أن يتعرف هو إليه بقلبه وبسلوك سبيله الذى رسمه لمعرفته .

وأنت أيها القارى إذا أردت أن تعرف الله فثق أن ذلك لا يكون إلا بقلبك وبقلبك فقط مستهديا بنور بصيرتك فانك أقرب إلى الله من كل شيء عدك ولن تجد الله قط فى زوايا البراهين والنظريات ولا فى طوايا الكتب والمجلدات التى لا تهذب نفساً ولا تنور قلبا ولا تكسب إيمانا والتى قد تدل ولا توصل سيما إذا أجدبت من نور اليقين والحكمة وإنما يجب عليك أن تعرف الله عن طريق محبته والاذعان له والاقرار به أولا حيث أنك وعقلك وفكرك ومباحثك وايمانك وحتى الحادك كل هذه أضواء لوجوده وهو المصدر الكلى للجميع مع تنزيهه عن الجميع .

ظننت جهلا بأن الله تدركه ثواقب العقل أو يحويه برهان
أو العقول أحاطته بديهتها أو أن يكون به لولاه ايمان

وإلا فقل لى بأبيك هل يمكنك أن تحكم بفساد أو صحة مسألة جبرية أو هندسية بدون أن تحيط بعلم ما يلزم لذلك من المعارف الرياضية والمعلومات الفنية ؟ أو هل يمكنك أن تحدد جرم الشمس بمجرد النظر اليها من بعيد نظرا سطحيا بغير آلة تقرب اليك المسافات وتعين لك الأبعاد فضلا عن استعدادك مبدئيا للنظر ؟ وهل يمكنك أن تقف على ظهر باخرة فى أحد المحيطات فتعين لنا الجهة التى تريد الوصول اليها من هذا المعمور الشاسع بدون (بوصلة) تدلك على السبيل القاصد الى غايتك وتكون مرشدا لك صوب وجهتك ومعنى ذلك

أن لكل شيء طريقا من طلبه من غيره أخطأ القصد وبعد عن الغرض

وإذن فالدين ضروري للبشر . ولماذا ؟ لأنه علم المعرفة بالله وهو الوصلة المعينة للاتجاه الصحيح في خضم هذه الحياة والمنار الذي يهدي الإنسان إلى الشاطيء الثاني شاطيء الحياة الآخرة وهناك النعيم الدائم أو الشقاء الابدي « وَأَن لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَي . وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى . ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى . وَأَنَّ إِلَي رَبِّكَ الْمُنْتَهَى »

ما هو الاسلام ؟

وكنتيجة للبحث هل تصورت الحرية شاملة والسعادة حاضرة والعدالة مرفرفة والاستقامة آخذة بأيدي الناس إلى سواء السبيل ؟ وهل رأيت النهج القويم والصراط المستقيم والحب انبثقا من القلوب إلى القلوب والعقل منتبها والنظر في الكائنات متجددا ؟ وهل رأيت المساواة عامة بين الصعلوك والأمير والشورى آخذة بألباب الجميع ؟ فإن تصورت كل ذلك حاضرا في ذهنك لواعي فاعلم ان ذلك هو (الإسلام)

والاسلام يارعاك الله دين الفطرة ومهد البصيرة وعبادة الواحد الأحد وبغض الشرك وهجر الظلم والبغي ومباينة الرياء والنفاق وتطهير النفوس وتنوير القلوب واعتناق مكارم الأخلاق والحكم بالحق ولو على النفس والأهل واستشعار الخشية وشحذ الهمة وخدمة الانسانية ودعم الأعمال بالنية خالصة لوجه الله

« يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا » ؟

(تم بحمد الله تعالى)

فهرست كتاب حكمة الاسلام